سلسلة تفريغات شبكة بينونة

هدي النبي

عليه الصلاة والسلام

في التعامل مع زوجاته

الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرملي
حفظه الله

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية

أن تقدم لكم تفريغا لمحاضرة بعنوان

هدي النبي عليه السلام

في التعامل مع زوجاته

أَلْقَاهُا الشَّيْخُ

د. سعيد بن سالم الدرمكي

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

نَسْأَلُ اللهَ – سُبْحَانهُ وَتُعَالَى – أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْجَمِيعُ

قام بها فريق التفريغ

بشبكةُ بِينُونَةِ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

حُقوق الطَّبْعِ مَحْفُوظَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدًا ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

إخواني في الله كلامنا اليوم حول أمرٍ من أمور الدين والدنيا ألا وهو:

(الزواج)

الزواج ليس مما يتعلق بالدنيا فقط ومُتعها، بل يتعلق بمقصدٍ عظيمٍ من مقاصد الشرع جاء الإسلام بالمحافظة عليه، والأمر به، وتكميله، ومنع أي شيءٍ يخل به.

فالعلماء يقسّمون مقاصد الشرع إلى خمسة أقسام: **الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.**

والنسل أو العرض لا يكون في شرعنا وشرع من قبلنا إلا بالزواج، وقد أعتبر الله ﷻ الزواج نعمة وأمتّن بها على عباده بغير ما آية، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧٢].

وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١].

قال أهل التفسير: من عجائب آيات الله ﷻ أن يجعل بين اثنين هذه المودة والرحمة دون سابق لُقيا ، تزوجها بناءً على وصف أهله لها، ثم يجد من نفسه إقبالًا عليها ومحبةً وكأنه يعرفها منذ القدم، فهذه من آيات الله سبحانه وتعالى.

وأخبر ﷺ: أن الزواج من متممات الدين للرجل والمرأة.

أما الرجل فقال ﷺ: «مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الباقي»(١).

وقال : «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِها الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(٢)

وقال : أربعٌ من السعادة وذكر منها المرأةُ الصالحة ، وأخبر أن من ما يُعين المرء في هذه الحياة على دينه قالﷺ : «وامرأةٌ تعينه على أمر دينه ودنياه»(٣).

إذًا وجود الزوجة متمم لأمر دينك، وكذلك الزوجة وجود الزوج في حياتها متممٌ لأمر دينها، قال ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بعلها أي زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»(٤).

---

(١) رواه البيهقي (٥١٠١)، والحاكم (٢٦٨١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٢٠٠).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٧).

(٣) رواه الترمذي (٣٠٣٨) بلفظ (على أمر الآخرة)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٧٦).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٤١٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٤١١).

وجاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ: «فقال لها ذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فقَالَ لها: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟» قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ. قَالَ: «فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»(١) هذا الزوج بالنسبة للمرأة، وهذه الزوجة بالنسبة لك أيها الرجل.

ولكن في زماننا هذا اللي طغت فيه المادة، و قَصُرت فيه أنظار الناس عن شرع الله عز وجل، صار الزواج الذي أعتبره الله نعمة "نقمة"؛ حتى وصفه البعض بأنه القفص الذهبي في أول الحياة، ثم يتحول إلى قفصٍ وإلى سجنٍ كئيب.

فكثرت المشاكل بين الأزواج، وارتفعت نسب الطلاق في المجتمعات ومنها مجتمع الإمارات، بل يقع الطلاق في أول أشهر الزواج، وللأسف لأسبابٍ يستحي المرء عن ذكرها، ومن أتفه التفاهه يطلق زوجته لأدنى سبب.

والسبب: هو غياب الوعي وغياب الفهم الصحيح للزواج بالشريعة الإسلامية، نتج عن انتشار المشاكل وكثرت الطلاق أن رفضت طائفة من الشباب والنساء الزواج؛ لأنه يرى أخاه وصديقه يعيش في كآبة، والمرأة ترى أختها مطلقة.

(٢)[تقول وش لي أنا في هذا الباب؟ أبقى مرتاحة وذاك يقول أبقى مرتاح مثل ما يقول: الشواب عندنا الأوليين ، يقول للعازب من فوائد العزوبية: أنك إذا نمت ما قومت محد يقولك قم، وإذا ذهبت ما دوّرت يعني ما أحد يدورك وينك ، ما يعملك تحقيق أول ما تأتي البيت، وين؟ و ليش متأخر؟ وكل يوم مع الربع؟فيقول هذي من فوائد العزوبية ، فهذه أبرك وأفضل] ، ولذلك كان لابد من بيان أحكام شرع الله عز وجل ، في هذا الباب .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٩٠٠٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦١٢).

(٢) كلام من الشيخ بالعامية.

بعض الناس من المستقيمين يفعل ما ينافي أحكام الشرع ويستدل بأدلة الشرع، وذلك نتيجة قصوره في فهم الآيات وفي فهم الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في التعامل مع الزوجة.

وأمر الأسرة إخواني من الأهمية بمكان أن تكفل الله ببيان أحكامه تفصيلًا في القرآن الكريم..

تأمل في الصلاة: الصلاة وردت في القرآن إجمالًا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المزمل:٢٠] ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨] ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء:٧٨].

أين ورد تفصيل الصلاة؟ في السُنة قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(١)

الزكاة وردت إجمالًا، ورد تفصيلها في السُنة، الصوم ورد في سورة البقرة في صفحة واحدة أو صفحتين وورد تفصيلًا في السُنة، الحج كذلك.

تعال إلى أحكام الأسرة ذكرها الله في أكثر من أربع سور: ذكرها في سورة البقرة. وفي سورة النساء ،وفي سورة النور، وفي سورة الأحزاب ، وفي سورة الطلاق.

يذكر فقط أحكام الأسرة، ذكر أحكام الزواج قبل الزواج والخطبة، ثم ذكر أحكام عقد القِران، وذكر أحكام العِشرة بين الزوجين ثم ذكر في حال حصول مشاكل، كيف تحل هذه المشاكل؟ ثم ذكر نهاية الزواج بطريقين:

- إما الموت.

(١) متفق عليه

- وإما الطلاق.

ثم ذكر ما بعد الطلاق هذا كله مذكور في القرآن الكريم تفصيلًا؛ للدلالة على أهمية الزواج والأسرة في دين الله ﷻ.

دور الزوج في الحياة الزوجية.

خطابي اليوم للزوج والزوجة نؤجلها، أيها الزوج:

يخاطبك الله في القرآن الكريم فيقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء:١٩]

قبل أن تبدأ في التعامل مع المرأة بالمعروف لابد أن يفهم الزوج طبيعة المرأة، وهنا لما نذكر طبيعة المرأة الذي ذكرها هو محمد ﷺ فهو وحيٌ يوحى، فلا تجعل وتقول هذا اتهام للمرأة، والمرأة فيها نقص (لا) هذه طبيعة المرأة اللي خلقها الله ﷻ عليها شاءت أم أبت.

ولو وصلت إلى كونها رئيسة دولة ستبقى على هذه الطبيعة التي خلقها الله ﷻ عليها، فينبغي عليك أيها الرجل أن تتفهم هذا الوضع.

أما طبيعة المرأة فصح في البخاري ومسلم: قول نبينا ﷺ: «وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[1] فإن المرأة خلقت من ضلع. وأين يوجد الضلع في الإنسان؟ في صدري هذا، كيف يأتي؟ منحني.

(١) متفق عليه

«وإن أعوج شيءٍ في الضلع أعلى فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»، النبي ﷺ ما أمر النساء أن يستوصوا بالرجال خيرًا، أمرك أنت أيها الزوج أن تستوصي بالنساء خيرًا لطبيعتِهن.

قال ﷺ: «إن المرأة قد خُلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقةٍ فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها».

يقول ابن حجر في التعليق على هذه الأحاديث: (**وفي الحديث الندب إلى المدَاراة لاستمالة النفوس، وتألف القلوب، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهنَّ، والصبر على عوجهنَّ، ومن رام تقويمهنَّ فاته الانتفاع بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأةٍ يسكن إليها، ويستعين بها على معاشه، فكأنَّه قال: الاستمتاع بها لا يتمُّ إلا بالصبر عليها**).

هذه طبيعة المرأة، ولن تستقيم لك على طريقة، إذًا ما المقصود بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء:١٩]؟

أذكر لكم كلام أهل التفسير، لتعلموا المقصود من كلام ربنا عز وجل والله يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]

يقول ابن كثير: أي طيّبوا أقوالكم لهن، وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨].

رسول الله مع أزواجه.

وقال رسول الله ﷺ : «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(١)، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البِشْر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسع نفقته، ويضاحك نسائه إلى نهاية ما ذكر رحمه الله تعالى.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]: (**وهَذَا يَشمَلُ المُعاشَرَةَ القَولِيَّة والفِعْلِيَّة، فعَلَى الزَّوجِ أَن يُعَاشِرَ زَوْجَتَهُ بِالمَعرُوفِ، مِن الصُّحْبَةِ الجَمِيلَة، وكَفِّ الأَذَى وبَذْلِ الإِحْسَان، وحُسْنِ المُعَامَلَة، ويَدخُلُ في ذَلِكَ النَّفَقَةُ والكِسْوَةُ ونَحوُهُمَا فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها، في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال**).

والأمر في الآية: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]. أمر تكليفٍ ستُحاسب عنه يوم القيامة، أمرك، أمر الله لك بحسن صحبتك لزوجتك مما ستُحاسب عليه بين يدي الله ﷻ، لماذا؟ لأنه حقٌ للزوجة عليك، ولن تنجو يوم القيامة كما ذكرنا في الدروس السابقة إلا أن تأتي بحقين: حق الله، وحق الناس.

يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]

أي ولهن من الحقوق مثل الذي عليهن لكم أيها الأزواج من الحقوق، وقال ﷺ: «فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، و صححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥).

(٢) متفق عليه.

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[١] ستسأل عن معاملتك لزوجتك.

ما مظاهر العِشرة بالمعروف؟ الكلام في هذا واسعٌ جدًا، لكن أنا أذكر لكم شيئًا من هدي نبينا ﷺ؛ وإلا الأصل في القاعده عامة في المعاشرة بالمعروف بين الزوجين؛ كما قال طاهر بن عاشور في تفسيره: (**قال حُسن المعاشرة جامع لنفي الإضرار والإكراه، وزائدٌ بمعاني إحسان الصحبة**).

هذا القاعدة الي تمشي عليها في معاشرتك لزوجتك بالمعروف، رفع الضرر عنها وتكميل ذلك بالإحسان إليها، وهذا يختلف من زمانٍ لآخر ومن رجلٍ لآخر على حسب قدرته واستطاعته.

تعالوا ننظر في قدوتنا وأسوتنا محمد ﷺ الذي قال: «وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»،كيف كان يتعامل مع زوجاته ﷺ، وهو سيد ولد آدم، وهو نبي الله، وهو رئيس الدولة المسلمة في زمانه ﷺ وهو القاضي بين الناس؟ كيف كان يتعامل؟! كيف كان يعاشر أهله بالمعروف؟

من ذلك كان ﷺ يصرح بحبه لزوجاته وهذا في جهة المشاعر وإظهارها، يقول عن خديجة **رضي الله عنها**: «إنّي رُزقت حُبّها»[٢]، وسُئل: «من أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: عَائِشَةُ»[٣].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٩١٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٣٦).

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٥).

(٣) متفق عليه.

وعند بعض الناس يكره أن يقول هذا لزوجته، أن يظهر مشاعره يقول هذا عيب منقود عند العرب، كيف أنا أقول لهذه المرأة كذا؟! ما هو بصحيح هذا الكلام، رسول الله ﷺ عربي وهو أفضل منك، وكان يخاطب عائشة بأفضل الألفاظ، كان يدلعها فيقول: يا عائش، يا عائش.

الآن في زماننا بعضهم يضع على اسم زوجته في الهاتف كلماتٍ خطأ، وبعضهم يضع رنة الهاتف مثلًا صوت الإسعاف، فإذا رنّ صوت الإسعاف عرف أن زوجته على الخط، وبعضهم يضع صورة الجمجمة اللي عليها علامة الخطر، أين هذا من فعل النبي ﷺ كان يقولها يا عائش؟!

يدللها باسمها، «من أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ»، بعض الناس إذا ذكر المرأة وهذي حصلت معي ركبت مرة في سيارة مع رجل فيحكي لي قصة يقول ذهبتُ إلى المستشفى أوصل أعزك الله الحرمة، حمار هي، زبالة أعزك الله.

كلمة أعزك الله ما تستخدم إلا لما أحتقر، تقول عن المرأة أعزك الله من مثل هذا يحترم امرأة؟ وتكون عنده امرأة على حسن العشرة؟ أبدًا ، فليس في ذلك نزول من قيمة الرجل ولا من مكانته، «من أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ» كان يدللها يا عائش **رضي الله عنها**.

حسن العشرة من رسول الله لأزواجه.

من مظاهر حُسن العِشرة بين الزوجين: تقبيل النبي ﷺ لزوجته إذا خرج، وهذا فيه أُلفة وحُسن عِشرة بين الزوجين أن يفترقا على محبة ويجتمعا على محبة.

عن عروة بن الزبير عن عائشة أن رسول الله ﷺ : «قبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ»[١].

قلت عروة بن الزبير يقول: ومن هي إلا أنتِ؟ فضحكت، فكان ﷺ لا يتمالك نفسه إذا رأى عائشة، بل كان يقبلها ولو كان صائمًا.

فعنها **رضي الله عنها** قالت: "**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ**"[٢] أي لحاجته، هذا من حُسن العِشرة.

من مظاهر حُسن العِشرة بين الزوجين الملاعبة والمضاحكة بينهما، قال ﷺ لجابر: «هل تزوجت يا جابر؟» قال: نعم، قال: «بكرًا أو ثيبًا؟» قال: بل ثيبًا، قال: «فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟»[٣].

وكان ﷺ يشاور أهله بالليل مع أنه نهى عن السمر بعد العشاء، نهى عن النوم قبل المغربِ وعن السمر بعده، أجازه للحاجة ولضيوف؛ و ليسامر الرجل أهله ويتكلم معهم، هذا وقت الراحة، فعلام كثيرٌ من الناس يذهب يسمر مع أصحابه؟

يطلع مع أصحابه ويرجع الساعة الواحدة والثانية، و إذا شاف الزوجة معصبة ولا قالت له: ليش؟ قال: شوه أنا في سجن؟ ولا أنا في استجواب؟ ولا أنا في المحكمة ؟ تحاسبيني وين رايح وين جاي؟ ، لها حق هذه المرأة ، ما زوّجت اياها تذهب عنها وترجع اليها ما هي سقط متاع في البيت.

---

(١) رواه الترمذي (٨٦)، و صححه الألباني في صحيح أبي داود (١٧١).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

رسول الله ﷺ نهى عن السمر بعد العشاء إلا لحاجة أجلس مع زوجتك، مع أولادك ، والله نفتقد إلى هذه الجلسة مع الأولاد.

يحدثني أحد الطلبة يقول: مع أن والدي، أو مع أن والده يعمل في البلد، يقول: ما يراه إلا يوم الجمعة أو السبت، وهو معه في نفس البلد ما يعمل في أبوظبي ولا في دبي هنا يعمل في البلد، لا يلتقي مع والده إلا في يوم الجمعة والسبت على الغداء، وبقية الأسبوع لا يراه وهو معه بنفس المنزل، فإذا الزوج يخرج من بعد صلاة العشاء ولا يرجع إلا بعد منتصف الليل والمرأة كذلك، ضاعت العلاقة بين الزوجين، فتصبح العلاقة علاقة روتينية ميتة.

فانظر إلى هدي النبي ﷺ في هذا الباب، كذلك من حُسن العِشرة التي كان يفعلها النبي ﷺ الملاطفة في الطعام والشراب، وانظر إلى قول عائشة رضي الله عنها قالت: **"كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ "** أي القدح والكأس، **"فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ من حيث شربت "**[1]، **رضي الله عنها** وهذا فيه تطيب لخاطر المرأة فيشرب.

تقول: **"وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ"** أي العظم اللي فيه اللحم **"ثم أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ"**،

بل لك في اللقمة تضعها في فم زوجتك أجر، قال ﷺ: «إِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ عَلَى أَهْلِكَ مِنْ نَفَقَةٍ، فَإِنَّكَ تُؤْجَرُ فِيهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ»[2] وهذا من حُسن العِشرة بين الزوجين.

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠).

(٢) رواه البخاري (٦٧٣٣).

كذلك من حُسن العشرة اللي كان يفعلها النبي ﷺ القرب من الزوجة، وهذا الحديث فيه أكثر من صفة في حُسن العشرة، لكن أنا أدرجته ضمن القرب من الزوجة، عن أمنا عائشة رضي الله عنها تقول: **"خَرَجْنَا مَعَ النبي ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ"** وانظر هذه نقطة من حُسن العشرة سفر الزوجة مع الزوج.

بعض المستقيمين هداهم الله يقول: لا ما تخرج: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣]، ما تخرج أبدًا، طيب هذا النبي –صلى الله عليه وسلم- يسافر ويأخذ معه زوجته، قال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[الأحزاب:٣٣]؟

فتخرج عائشة مع النبي ﷺ في سفر تقول: **"حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي"** عقد تضعه في رقبتها **رضي الله عنها "فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺعَلَى الْتِمَاسِهِ"** يعني الجيش كله يبحث عن عقد عائشة **رضي الله عنها** .

"وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ" ما عندهم ماء، **"وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَتَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ"**، لماذا ذهبوا لأبي بكر؟ أبوها روح أتصرف مع عائشة رضي الله عنها ؛ حتى ينتهي الأمر.

"فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي" تقول عائشة هذا وجه الشاهد، وضع رأسه على فخذ عائشة ونام، هذا من حُسن واللطف في التعامل مع الزوجة.

فَقَالَ، أبو بكر يكلم عائشة حسبكِ، **"حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ"** وَلَيْسَ عندهم مَاءٌ، تقول عائشة: **"فَعَاتَبَنِي، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ"**، ومن شدة غيظ أبي

بكر تقول: "جَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلاَّ مَكَانُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ" ما عندهم ماء للوضوء. "فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ".

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: "مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ"[1].

يعني: هذا الفعل سببٌ لنزول رخصة من الله وهو التيمم، فانظر إلى طريقة النبي – صلى الله عليه وسلم– في تعامله مع زوجته في السفر، أقام الجيش كله لأجل زوجته.

- مرة من المرات كان مسافر و إحدى زوجاته على بعير وتأخرت، فلما ذهب إليها رآها تبكي كأنها ميمونة، قال: «ما يبكيك؟»، قالت: حملتني على بعيرٍ ضعيف، فقامت تبكي فقام النبي ﷺ يمسح دموعها ويسكتها[2] وهذا من لطفه ﷺ مع تعامله.

اليوم يقول: أحمدي ربك أنا أعطيتك مركوب تركبينه بعد تصيحي، أو مثل واحد من الأزواج إذا صاحت زوجته وبكت يقول أبكي فإني قرأت أن الدموع فيها نسبة فلوريد مفيدة للأسنان هذا يقتلها غيظًا، ويميتها كمدًا، والنبي ﷺ يمسح دمعها، صلوات الله وسلامه عليه .

- من حُسن عِشرته ﷺ مع زوجته اغتساله مع زوجاته، وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: «كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ فيبادرني حتى أقول دع لي، دع لي، قال: وهما جنبان»[3] وورد هذا عن ميمونة وعن أم سلمة.
- كذلك من حُسن العِشرة بين الزوجين تعاون الزوج مع زوجته في أمور الدين والدنيا، عن عروة قال: «سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْمَلُ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٩١١٧).

(٣) متفق عليه.

فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ» يخيط نعاله إذا قطعت، «وَيُخَيِّطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ»[١] وهو سيد ولد آدم

وقال في روايةٍ أخرى: «كَانَ يقوم في مهنة أهلِهِ يُفَلِّي ثَوْبه، وَيَحْلُب شَاته، وَيَخْدُم نَفْسه»[٢].

قال ابن حجر: (**في الحديث الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل لأهله صلوات الله وسلامه عليه**).

مع أن كان عنده خدم، من خدمه كان من؟ أنس ابن مالك، وكان عندها موالي منهم بريرة، مولى لعائشة **رضي الله عنها**؛ لكن مع ذلك كان النبي ﷺ يساعد عائشة وزوجاته في أمور البيت.

فليس من حرج أن تساعد زوجتك في أمور البيت والمنزل، بل لما تشعر الزوجة بوجود الزوج بجانبها هذا مما يقوي العلاقة معه ويزيد من المشاعر بينهما.

من التعاون كذلك التعاون على طاعة الله ﷻ وهذا أكمل من الأول، وهذا من مقصود الزواج، قال ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى وأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ» تصلي قيام الليل، «فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ» النضح ما أن يأتي بالسطل ويصب على المرأة، لا يأتي بماءٍ خفيف ويرش على وجهها حتى تستيقظ وتتنشط للصلاة.

«رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»[١]، وجاء في رواية أخرى: «إذا قام فصلى كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»[٢]

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٥٣٤١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٦١٩٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٧١).

من التعاون، التعاون على صيام الاثنين والخميس بينك وبين زوجتك، فإنك لوحدك قد تتكاسل، لكن إذا وجدت المرأة من يعاونها ووجد الرجل من يعاونه يتشجعان على ذلك.

- من حُسن العِشرة بين الزوجين والامر يطول: **"اللهو المباح بين الزوجين"** روى البخاري عن أمنا عائشة، لاحظ الأحاديث كلها عن من؟ عن عائشة رضي الله عنها .

قالت: **"دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ"** بُعاث أيام حروب بين الأوس والخزرج، وكان هذا اليوم يوم عيد، **"فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ"فَقَالَ**: «دَعْهُمَا»، **"فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ"**(٣) وهذا الغناء في يوم العيد مستثنا .

" وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ فيه السُّودَانُ" أي الحبشة، «بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ» الحراب اللي تستخدم في الحربة المعروفة، **"فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِمَّا قَالَ**: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟» **فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ"** يعني على كتفه، **"خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ:** «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» **حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ:** «حَسْبُكِ؟» **قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ:** «فَاذْهَبِي».

قال ابن حجر: **(في الحديث جواز النظر إلى اللهو المباح وفيه حُسن خلقه ﷺ مع أهله وكرم معاشرته لهم)**.

---

(١) رواه النسائي (١٦١٠) و أبو داود (١٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١١٨١).

(٢) رواه أبو داود (١٤٥١)، ابن ماجه (١٣٣٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٠٥).

(٣) رواه البخاري (٩٥٠).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ» عائشة تزوجها النبي ﷺ وهي صغيرة، فكان عندها لعب من العهن، «وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ»، أي يهربن،«فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي».

وعنها قالت: **"قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ"** عندها في البيت مكان فيه ستر ووضعت فهي لعب

"كَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟ قَالَتْ: بَنَاتِي وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟ »**قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ:** «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» **قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ:** «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» **قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ ﷺ"**.

وعنها أنها قالت: **"كنت مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سفر"** في غزوة، فقال النبي ﷺ للجيش انطلقوا، وبقي هو وعائشة في مؤخرة الجيش، فقَالَ: «تَعَالَيْ أُسَابِقَكِ» فنزلت، والسباق ما هو؟ الركض، **"فسابقها فَسَبَقْتُهُ"** فازت عليه في الركض كانت صغيرة، و النبي ﷺ أكبر منها، ومثقل بعدادات الحرب فسبقته.

فلما تقول: **"حَمَلْتُ اللَّحْمَ"** في غزوةٍ ثانية، أمر الجيش وتقدم، فقال: **"تَعَالَيْ أُسَابِقَكِ، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فقال: هَذِهِ بِتِلْكَ"**(١).

فانظر إلى هديه ﷺ في التعامل مع زوجته، وهذا اللي أذكره لكم نُبذ وطرف وأشياء يسيرة، وإلا كل ما سيأتي في الدروس المقبلة عن الزواج هو من حُسن العشرة بين الزوجين.

---

(١) رواه النسائي (٨٦٢٢).

فلذلك أخي المسلم لابد أن تراعي مصلحة الزوجة، ولابد أن تؤدي حقوق زوجتك عليك، وأعلم أن هذا الفعل تفعله لك أجر عند الله ﷻ، وهذا مما يطيب لك حياتك الدنيا.

ولا تقل النساء أصحاب مشاكل، انظر إلى النبي ﷺ أكمل الناس في التعامل، ومع ذلك واجه مشاكل مع زوجاته رضوان الله عليهم.

كما سيأتينا في الكلام عن المشكلات الزوجية هجرهن شهرًا، وكانت الواحدة تكيد بالثانية، نتيجة الغيرة التي بينهن، ومع ذلك كان يقابل ذلك بحُسن عشرة بينهن رضوان الله عليهن وصلى الله وسلم على نبينا ﷺ.

عدا أن حسن التعامل بين الزوجين يورث بينهما المحبة ودوام العشرة، وهذا هو المقصود من الزواج؛ كما قال تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١].

ومن مجالات الحياة التي ينبغي علينا أن نقتفي فيها أثر نبينا ﷺ مجال الحياة الأسرية في التعامل مع الزوجات والأولاد، فهديه ﷺ في هذا المجال أتم هدي وأكمله وأفضله.

قال ﷺ: «**فإن خير الهدي هدي محمد**»[1].

ولعل من ينظر في المشكلات الأسرية بين الأزواج يرى أن من أهم أسباب هذه مشكلات عدم اطلاعهم على هدي نبيهم ﷺ في التعامل بين الزوجين بل إن بعضهم لَيُعرِضُ عن ذلك.

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧).

عُرضت علي مشكلة بين زوج وزوجته فقلت للزوجة: أعطيكِ بعض الأشرطة السمعية لبعض أهل العلم الذين بينوا طريقة النبي ﷺ في التعامل بين الزوجين وطريقة حل الخلاف بالطريقة الشرعية؛ إلى حين أن أجلس مع الزوجين للنظر في خصومتهما، فما توقعت جوابها قالت: لا أحتاج إلى سماع ذلك.

فيوجد إعراض عن النظر في هدي النبي ﷺ فمثل هؤلاء لا تستقيم لهم حياة ؛لأنه حياتهم بلا هدي النبي ﷺ ميتة، فهدي النبي ﷺ هو النور لتحيى به النفوس والقلوب.

ورسولنا ﷺ خُص بمزيةٍ في مجال الأسرة عن بقية الأمة كلها هذه الميزة أنه جمع في عصمته تسع نسوة ومن المعلوم أن الرجل لا يجوز له أن يجمع إلا أربع ، رسولنا ﷺ في مجال الأسرة خُص بجواز أن يجمع بين تسعة نسوة هم اللواتي مات عنهن ﷺ عن تسع نسوة، وفي ذلك حكم عظيمة ولعل من أبرز هذه الحكم أن ينقلن ما يحدث في بيوتهن من تعامل النبي ﷺ مما يخفى على الناس، لذلك قال ربنا ﷻ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤].

ونبينا ﷺ قَعّدَ قاعدة مهمة في التعامل بين الزوجين أساس هذه القاعدة هو الرجل قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**»(١)، فجعل التعامل بين الرجل والمرأة زمامه بيد الرجل بيد الزوج وأعطاه صفة الخيرية إن أحسن إلى أهله وزوجته.

وهذا مبني على مكارم الأخلاق وحسن الخلق في التعامل بين المسلمين عمومًا و بين الزوجين خصوصًا والأقربون أولى بالمعروف، وأذكر لكُم شيئًا من مواقف نبينا ﷺ مع

(١) سبق تخريجه.

زوجاته على غير ترتيب لكن نذكر الموقف ونشرحه ونستخرج أهم فوائده فيما يتعلق بالزوجين.

مواقف النبي ﷺ مع زوجاته رضي الله عنهن.

فمن مواقفه مع زوجته أو مع زوجاته ﷺ ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنه قال: **"كان للنبي ﷺ تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا عند تسع"**[1] يعني لا يرجع يبيت عند الأولى إلا بعد أن ينتهي من تسع نسوة يأتي دورها في اليوم التاسع أي بعد انقضاء تسع ليال.

يقول أنس: **"فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها"**. يقول القرطبي رحمه الله: (**فيه حجة في أن الزوج لا يأتي غير صاحبة القسم**) أي: التي لها قسمها اليوم صاحبة النوبة، فأما اجتماعهن عند صاحبة القسم في بعض الأوقات فباختيارهن يعني هن اتفقن أن يجتمعن كل ليلة في بيت التي عليها الدور.

كلهن التسع يجتمعن في بيت واحد في بيت عائشة في بيت زينب في بيت حفصة التي عليها الدور يجتمع كل النسوة مع بعضهن البعض هذا اختياري ليس إجباري.

رجل معدد يقول: يجب عليكن أن تجتمعن وإلا تعتبرن قد خالفتن السنة؟ يقول هذا اختياري بالرضا. قال القرطبي: (**ومن حق صاحبة القسم أن تمنعهن إذا شاءت**).

يقول أنس رضي الله عنه: **"فكان في بيت عائشة فجاءت زينب بنت جحش"** وهي زوجة النبي ﷺ، **"فمد يده إليها"** وأنتم تعلمون تلكم الأيام لا توجد الإنارة الموجودة بيننا .

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٢).

وبيت النبي ﷺ عبارة عن غرفة **"فمد يده إليها أي ظانًا أنها عائشة فقالت عائشة: هذه زينب ، فكف النبي ﷺ يده"** وتعلمون ما يحصل بين النساء من الغيرة.

قال النووي: (**إنه لم يكن عمدًا بل ظنها عائشة صاحبة النوبة؛ لأنه كان في الليل وليس في البيوت مصابيح**) انظر إلى الفعل فقط وضع يده على زينب فقالت عائشة: إنها زينب ، يعني لا تضع يدك عليها؛ لأن هذه الليلة ليلتي.

"فتقاولتا" زينب وعائشة أي تشاجرتا بسبب الغيرة **"وقالت كل واحدة منهما قولًا غليظًا حتى استخبتا"** أي اختلطت الأصوات وارتفعت، وفي بعض النسخ يقول: **"حتى استخبثتا"**وهو الكلام الرديء يعني وصل لسب .

وفي نسخة **"حتى استحيتا"** من الحياء، وفي أخرى **"حتى استحثتا"** من الحثو فحثت كل واحدة التراب في وجه الأخرى، لكن الأصح **"حتى استخبتا"** يعني: علت الأصوات وتداخلت مع بعضها البعض وأقيمت الصلاة.

استمرت الخصومة إلى أن أقيمت الصلاة، فمر أبو بكر على ذلك فسمع أصواتهما يعني الصوت واصل خارج البيت فقال:" **اخرج يا رسول الله إلى الصلاة واحثُ في أفواههن التراب**".وهذا من باب المبالغة في الردع والزجر؛ لأنهن رفعن أصواتهن بحضرة النبي ﷺ.

فخرج النبي ﷺ فقالت عائشة: **"الآن يقضي النبي ﷺ صلاته فيجيء أبي بكر فيفعل بي ويفعل"** أي: من التوبيخ والضرب ضرب التأديب وكررته للمبالغة من خوفها من أبيها.

فلما قضى النبي ﷺ صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولًا شديدًا وقال: **"أتصنعين هذا"** أي بالنبي ﷺ يوبخها؛ لأنها ابنته وهي أحب امرأة إلى النبي ﷺ.

فوائد لحديث أنس ﷺ.

هذا الموقف فيه فوائد يستفيدها الزوج والزوجة من هذه الفوائد:-

أولًا: بوب عليه النووي في مسلم فقال: باب **"القسم بين الزوجات وبيان أن السنة أن تكون لكل واحدة ليلة مع يومها"** يعني أربعة وعشرون ساعة لهذه المرأة.

ثانيًا: بيان ما كان عليه النبي ﷺ من حسن الخلق وملاطفة الزوجات، لاحظ فقط فعل واحد من النبي ﷺ وبالخطأ ومن غير قصد أن وضع يده على زينب فشبت الغيرة بين الاثنتين فتقاولتا وارتفعت أصواتهما ماذا فعل النبي ﷺ؟ تركهما وهذا فيه لطف النبي ﷺ وتعامله مع أزواجه بمكارم الأخلاق وأحسنها.

دلت هذه الواقعة على حال الضرائر مع بعضهن، فهؤلاء النسوة من خير نساء العالمين زوجات النبي ﷺ ومع ذلك يحصل بينهن من الغيرة والشجار والتقاول ما يحصل بسبب الطبيعة البشرية التي جعلها الله في النساء.

لكن انظر كيف عامل النبي ﷺ ذلك بأن انصرف إلى صلاته ولم يتعرض لهن بسب ولا ضرب ولا غير ذلك، وستأتينا مواقف أُخَر تبين لك نفس الأمر هو ذاته تصرف النبي ﷺ .

كذلك دل هذا الموقف على أن الرجل يتعاهد نساءه ويسأل عنهن ويجلس إليهن ويحادثهن، ففي البخاري قال أنس رضي الله عنه: **"وشهدت وليمة زينب فأشبع الناس خبزًا ولحمًا ﷺ وكان يبعثني فأدعو الناس فلما فرغ قام وتبعته فتخلف رجلان استأنس بهما الحديث"** يعني جلسوا في بيت النبي ﷺ ولم يخرجا.

قال: **"فجعل يمر على نسائه فيسلم على كل واحدة منهن"** وهذا وجه الدلالة من هذا الموقف فكان يمر على نسائه فيسلم على كل واحدة منهن يقول: **"سلام عليكم كيف أنتم يا أهل البيت"**، والسلام من الأمور التي تجلب المحبة بين الناس وخصوصًا بين الأزواج.

«ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[١] فيقولون:بخير يا رسول الله ، كيف وجدت أهلك؟ فيقول: **«بخير»**، هذا موقف من المواقف التي تعامل فيها النبي ﷺ بحكمة وبحسن خلق مع زوجاته.

الموقف الثاني: تعامله ﷺ مع غيرة أزواجه الغيرة طبيعة فطرها الله ﷻ في الرجل والمرأة الرجل فيه غيرة والمرأة فيها غيرة، قال ﷺ: **«أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني»**[٢] من أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغير من الله.

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«دخلت الجنة فأبصرت قصرًا قلت لمن هذا؟ قالوا: لعمر فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك فقال عمر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أو عليك أغار»**[٣].

والغيرة في الرجل علامة على الرجولة بها يدافع الرجل عن عرضه و أهله ودينه كذلك، وضد الغيرة في الرجل الدياثة يقال: رجل غيور ومن فقد الغيرة يقال عنه ديوث.

عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة الديوث من الرجال والرجلة من النساء ومدمن الخمر فقالوا: يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث**

---

(١) رواه مسلم (٨٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

من الرجال؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله، قلنا: فالرجلة من النساء؟ قال: التي تتشبه بالرجال»[١].

والمرأة كذلك تغار على زوجها ، قال ابن حجر: (**وأشد ما يكون اي الغيرة بين الزوجين**) بذات ممكن تحصل الغيرة بين الأخوات وما بين الإخوان بينهم في البيت الواحد لكن أشد الغيرة ما بين الزوجين.

وسأل النبي ﷺ عائشة: «**أغرتي؟**»، **فتعجبت وقالت: "وما لي ألا يغار مثلي على مثلك"**[٢]. فالغيرة موجودة وهي قسمان غيرةٌ محمودة مشروعة وغيرةٌ مذمومة لا يحبها الله ﷻ.

قال ﷺ: «**إن من الغيرة ما يحبه الله ﷻ ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير ريبة**»[٣].

الغيرة التي تكون لها سبب ولها أدلة تدل عليها محمودة، وأما الإفراط فيها بلا سبب فمذمومة كأن يغار الرجل لأتفه سبب من المرأة، أو تغار المرأة من أخت زوجها أو من أمه.

أو تغار إذا دخل البيت مبتسمًا أنه قد كلم أخرى قبل دخوله المنزل إذا رأته مبتهجًا أو تغار إن رأت يعني ما لا يدل على ريبة أبدًا، لكن الشيطان يجعل ما رأته ريبة في نفسها فتبدأ تفتش وتتجسس وتنظر فهذا مذموم.

---

(١) رواه البيهقي فالشعب (١٠٠٧٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٣/ ١٣٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٥).

(٣) رواه النسائي (٢٥٥٨)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٩٩٩).

أما إذا وجدت ريبة نعم رجل تأتي زوجته البيت الساعة الثانية عشر و الواحدة ليلا هذه ريبة يحتاج أن يغار على أهله، والمرأة كذلك إن وجدت ما يدل على خيانة الزوج وعلى فعله الفواحش والزنا فلها أن تغار.

أما الغيرة المفرطة بلا وجه حق؛ فلا يجوز ذلك للزوج والزوجة وهذا يفضي إلى الشك، ولذلك النبي ﷺ نهى الرجل أن يتخوّن أهله ليلًا يأتيهم يطرقهم ليلًا يتخونهم فيشك فيهم هذا نهى عنه النبي ﷺ.

والغيرة معروفة عند العرب منذ القدم قبل الإسلام وأقرها الشرع كما ذكرنا لكم في أحاديث النبي ﷺ.

الموقف الثالث: ومن مواقف الغيرة في بيت النبوة وتصرف النبي ﷺ مع غيرة النساء وهذي الغيرة من أكثر أسباب المشاكل بين الزوجين.

عن أنس رضي الله عنه قال: **"كان رسول الله ﷺ عند بعض نسائه"** وهي عائشة، **"فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام"** وهي أم سلمة أرسلت بإناء بوعاء فيه طعام وكان عنده بعض أصحابه **"فضربت التي النبي ﷺ يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت"**[1] انكسرت.

فماذا فعل النبي ﷺ؟ **"فجمع النبي -صلى الله عليه وسلم- فلق الصحفة ثم جعل يجمع الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غارت أمكم».**

(١) رواه البخاري (٢٣٤٩).

لماذا فعلت عائشة هذا؟ غيرة فالغيرة ثورة في القلب والدم «**ثم حبس الخادم حتى أُتي بصحفة من عند التي هو في بيتها**» يعني: في بيت عائشة «**فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كُسرت**».

لاحظ عنده الصحابة في المنزل عنده ضيوف وأوتي بالطعام من بيت أم سلمة إلى بيت عائشة، وهو يريد أن يضيف أضيافه ﷺ فلما رأت عائشة هذا الموقف غارت فضربت يد الخادم فسقط الطعام.

تخيل لو أنت مكانه في هذا الموقف ما أظن إذا كنت شديد إلا أن تعطيها إما بضربة على وجهها أو تسبها وتسب اللي خلفها ويابها كذلك وأنتي ما فيكي احترام ولا فما فيكي أدب ولا تحترمي الرجال وعندنا ضيوف، لكن انظر فعل النبي ﷺ «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**» قال: «**غارت أمكم**»[1] بيّن لهم السبب.

يقول ابن الحجر: (**فيه من الفوائد فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة**) بعض الأحيان تتصرف المرأة نتيجة الغيرة بما يستهجنه العقلاء.

فلذلك لا بد أن يكون تصرف الرجل هنا منضبطًا، فإذا كانت هي في حالة غضب وثوران فلا تقابل هذا بالغضب والثوران أنت أيضا .

لذلك يقولون: من الحكمة في التعامل التعامل بشعرة معاوية، قصة شعرة معاوية رضي الله عنه يُحكى في التاريخ والسير يقال قيل لمعاوية: كيف تسوس الناس؟ قال: (**علاقتي بالناس شعرة إن هم شدوها أرخيتها وإن هم أرخوا شددتها**).

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٥).

فالآن الزوجة في شدتها وفي غضبها وغيرتها تأتي أنت وتشد كذلك لا ، في هذا الموقف كما نتعلم من هدي النبي ﷺ أرخ، وليس في هذا مذلة للزوج ولا هضم لحقه بل حسن تصرف.

وهذا نبينا ﷺ كذلك تصرف فيقول ابن حجر: (**فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة**).

الموقف الرابع: من مواقف النبي ﷺ مع زوجاته والسيرة مليئة بذلك ما رواه مسلم عن عائشة **رضي الله عنها** قالت والقصة جميلة وفيها يعني أحداث وطويلة: **"أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول ﷺ في أمر"**.

كان الصحابة إذا أرادوا أن يعطوا النبي ﷺ هدية يعطونه في يوم عائشة كانوا يهدون النبي ﷺ متى يهدونه؟ إذا علموا أن اليوم يوم عائشة ذهبوا بالهدية إليه تقول فأرسلوا فاطمة.

يعني: فقلن في رواية أخرى عند غير البخاري: **"فإن الناس يهدون إليه في بيت عائشه ونحن نحب ما تحب فقلنا لها يعني لفاطمة كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس"** يعني لا يتقصدون بيت عائشة بالهدايا وإنما توزع الهدايا على بيوت النبي ﷺ.

"فاستأذنت فاطمة على النبي ﷺ وهو مضطجع معي" يعني جالس مع عائشة **رضي الله عنها** في فراشه فأذن لها فقالت: يا رسول الله، طبعًا هذا نوع من أنواع الشفاعة: **"إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة"** يعني في ابنة أبي بكر عائشة **رضي الله عنها**.

قالت عائشة : وأنا ساكته ، فقال لها رسول الله ﷺ «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟» قالت: بلى قال:« فأحبي هذه» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فرجعت إلى أزواج النبيﷺ فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها ﷺ.

فقلن لها: ما نراكِ أغنيتي عنا شيئًا فارجعي فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت: لا والله لا أكلمه فيها أبدًا فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش. زوج النبي ﷺ.

تقول عائشة: "وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ" أي تُعادِلُني وتضاهيني في المنزلةِ و الحضوةِ عند رسول الله ﷺ، أولاً في المرتبة الأولى عائشة المرتبة الثانية زينب.

تقول عائشة وانظر كيف يعني مع كونها ضره لها تقول: "ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم و أعظم صدقة، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله، ما عدا ثورة من حدة كانت فيها".

يعني: كانت كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وغضب تقول: "تسرع منها الفيئة" يعني ترجع وتئوب و تتوب وتعتذر من غضبها.

قالت: "فاستأذنت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرضها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة".

بعض أهل العلم يقول: العدل هنا المقصود به العدل القلبي، لكن سبب الحديث هو الهدايا التي كانت توزع من الصحابة أو تُعطى للنبي ﷺ في يوم عائشة

قالت: **"ثم وقعت بي"** وهذا شأن الضرائر مع بعضهن البعض، ذلك الذي قد عدّد أو ينوي التعدد ينتبه لمثل هذا لا يقول لا يحلم أني انا سأتزوج وسأعيش في قصر مشيد عن يميني وعن يساري تلبية الحوائج و الامور لا، تنتبه لمثل هذا خير نساء العالمين يفعلن هذا.

قالت: **"ثم وقعت بي فاستطالت علي وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه"** تنظر هل يتغير وجهه أم لا؟ تقول: هل يأذن لي فيها؟ و هذا تستفيده المرأة أنها تراعي على زوجها، طبعًا المرأة التي ترجو الله واليوم الآخر؛ لأن رضا الله من رضا الزوج كما مر معنا سابقًا.

قالت: **"فلم تبرح زينب"** يعني: واقفة مكانها وتتطاول علي **"حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر فلما وقعت بها"** ردت عليها عائشة مباشرة **"لم أنشبها حتى أنحيت عليها"** يعني لم أتركها حتى أسكتها.

ماذا تصرف النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: لما سكتت زينب بعد أن ردت عليها عائشة **رضي الله عنهن أجمعين** قال ﷺ : «**إنها ابنة أبي بكر**». يعني: ما تقدرين عليها، فأبو بكر من خير العرب نسبًا وفصاحة ما تستطيعين على ابنة أبي بكر و انتهى الموقف ، لا أنه قام يلعنهن ويسبهن ويلعن الساعة التي تزوجهن فيها ويذمهن، بل تعامل مع الموقف بحكمة وليونة .

فوائد لحديث أنس ﷺ.

في القصة من الفوائد قال ابن حجر: (**ما كان عليه أزواج النبي ﷺ من مهابته والحياء منه حتى راسلهن بأعز الناس عنده وهي فاطمة**)، وهذا المرأة لا بد أن تستحضره إن كانت تريد الله واليوم الآخر إن كانت ترجوا الله واليوم الاخر لا بد أن تحترم هذا الزوج.

فزوجها ذو مكانة، هذه المكانة أعطاها له رب العالمين ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[البقرة:٢٢٨]، وهذا تكلمنا عليه في "**محاضرة زوجُكِ جَنَّتُكِ ونارُكِ**" فالمفروض أن المرأة تعامل الزوج بالتي هي أحسن وتعطيه مكانته الصحيحة.

الأمر الثاني: فيه تنافس الضرائر وتغايرهن على الرجل وأن الرجل يسعه السكوت إذا تقاولن، ولا يميل مع بعض على بعض، وفيه جواز التشكي والتوسل في ذلك.

الأمر الثالث: فيه عذر النبي -صلى الله عليه وسلم- لزينب قولها: "**يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة**" والنبي ﷺ من أعدل الناس فكيف تطالبين النبي ﷺ بالعدل في أمر لا يملكه؟

قالوا: فيه عذر النبي ﷺ لزينب لكون الغيرة قد غلبت عليها فلم يؤاخذها النبي ﷺ بإطلاق ذلك اللغو، فهذا موقف من مواقف النبي ﷺ في تعامله مع زوجاته.

من مواقف النبي ﷺ مع زوجاته وهي كثيرة جدًا، انتهينا الآن ذكر هذه الأمثلة عن الغيرة وهي كثيرة تحتاج بنفسها إلى محاضرة.

لكن المواقف الأخرى التي تدل على ملاطفته لزوجاته ﷺ قالت عائشة: **"كنت أشرب وأنا حائض وأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ"**[١] فيشرب من المكان الذي شربت منه عائشة **رضي الله عنها، "وكنت أتعرق العرق"** أي: العظم الذي عليه اللحم **«وأنا حائض فأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ»** وهذا فيه ملاطفة الزوج لزوجته، وهذا مما يديم العشرة بين الأزواج.

ومن تعامل النبي ﷺ مع زوجاته ما ورد عن كثير منهن أنه كان يغتسل معهن ﷺ و ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونجن جنبان»**[٢]، وورد عن ميمونة أنها كانت تغتسل هي والنبي من إناء واحد، وكذلك أم سلمة، وهذا من حسن التعامل فيما بين الأزواج، وهذا فيه ملاطفة ويؤدي كذلك إلى المحبة.

وأختم بذلك، ومن تعامل النبي -صلى الله عليه وسلم- مع زوجاته وملاطفته لهن ما رواه البخاري عن عائشة **رضي الله عنها** قالت: **"قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية وإذا كنتِ عليها غضبى»**[٣].

هذا رسول اللهﷺ يراقب زوجته ويعلم حالها مايراقبها يعني يمشي وراها وإنما يراقب تصرفاتها في البيت ما الذي يرضيها ما الذي يغضبها .

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠).

(٢) رواه مسلم (٣٢١).

(٣) رواه البخاري (٤٩٣٠).

طبعـًا الزوج الذكي إذا أراد أن ينعم حياة طيبة لابد يفعل هذا قالت: **"فقلت: من أين تعرف ذلك؟ قال: «أما إذا كنتِ عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإن كنتِ غضبى قلتي: لا ورب إبراهيم»، فقالت: أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.**[1]

قال ابن حجر: (**يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل وعدمه**)، وفيه فطنة عائشة **رضي الله عنها** لماذا أتت بذكر إبراهيم بالذات، ولم تأت بغيره؟ لأن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء.

فنسبُ نبينا ﷺ ينتهي إلى إبراهيم والنبي ﷺ أولى الناس بإبراهيم كما نص على ذلك رب العزة سبحانه وتعالى في القرآن، فلا تثور غيرة في صدر النبي ﷺ، وهذا من فطنة عائشة **رضي الله عنها**.

من تعامل النبي ﷺ مع زوجاته أنه كان يحادثهن ويسامرهن ويجلس معهن، وهذا الموقف فقط فيه شرح حديث أبي زرع وأم زرع، وهذا الحديث فيه من الفوائد الشيء الجم الكثير، قد أُلفت فيه رسائل وكتب في قصة واحدة وموقف واحد من النبي ﷺ مع عائشة **رضي الله عنهم**

وقد ذكرنا أن هدي نبينا ﷺ هو أكمل هديٍ وأتمّه في طريقة التعامل مع أهله صلوات الله وسلامه عليه، وقد نُقل لنا هذا الهدي من نسائه.

وهذا من علل تخصيص النبي ﷺ بجواز أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، فنقلن **رضي الله عنهن** ما كان يجري في بيوتهن من هدي رسول الله ﷺ مما لا يطلع عليه الناس، وذلك لكي يقتدوا به؛ فهو الأسوة والقدوة الحسنة كما أمرنا بذلك ربنا ﷻ.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٠).

ذكرنا شيئًا من مواقفه ﷺ مع زوجاته، كيف تعامل معهن في وقت الغيرة؟ في وقت الغضب؟ في وقت الرضا؟

طريقة التعامل مع أهله صلوات الله وسلامه عليه.

ولكثرة هذه المواقف أستمر في الكلام في هذا الموضوع، ومن هدي النبي ﷺ في التعامل مع زوجاته، ومن حسن عشرته معهن: الجلوس مع نسائه والحديث معهن والحوار ومسامرتهن.

هذا من هديه ﷺ في تعامله مع زوجاته، كان يجلس مع زوجاته، ويتحدث معهن، ويتحاور ويأخذ ويسمع ويعطي، وهذا من اللهو المباح الذي أباحته شريعتنا، بل حثّت عليه.

الإمام البخاري **رحمه الله** في صحيحه بوّب بابًا فقال: **"باب ما يُكره من السمر بعد العشاء"** السمر اللي هو السهر، **"باب ما يُكره من السمر بعد العشاء"** أي بعد صلاة العشاء وروى تحته حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو برزة الأسلمي، قال: "وكان ﷺ يستحب أن يؤخر العشاء" قال: **"وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها"**[1]، هذا هديه ﷺ.

كان يكره النوم قبل صلاة العشاء وكان يكره السمر والحديث بعد صلاة العشاء، ما العلة؟ العلة ظاهرة؛ قال ابن حجر: **"لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها أو عن الوقت المختار"** ينام فتفوته صلاة العشاء حتى تخرج بالكلية، وصلاة العشاء على الصحيح تخرج بعد خروج نصف الليل.

أو يمضي الوقت المختار الحسن لأداء هذه الصلاة، ويدخل في الوقت الآخر، قال: **"والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن صلاة الصبح أو عن قيام الليل"** انتهى كلامـــه.

---

(١) متفق عليه.

وهذا واضح، فمن أطال السهر بعد صلاة العشاء فإما أن يفوته قيام الليل، وما أقل من يقوم الليل بسبب السهر والسمر، أو تفوته صلاة الفجر خصوصًا في فصل الصيف لما يطول النهار ويقصر الليل، فيطيل السهر والسمر فتفوته صلاة الفجر.

واليوم للأسف الشديد صار قيام الحديث هو الأصل، فصار السمر والسهر لغير حاجة هو الأصل، وصار الذي ينام بعد العشاء مباشرة ماذا يقولون له؟ ينام كما ينام الدجاج ، يقولون له: الدجاج ينام بعد العشاء، طيب هذه سنة نبينا ﷺ.

يقول أبو برزة: **"وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها"**، فلذلك من جرّب ونام بعد العشاء مباشرة فإنه إن نوى قيام الليل قامه بنفسٍ منشرحة وبنشاط، فضلًا عن صلاته الفجر بقوة وبنشاط، ومن جرّب مثل هذه التجربة عرف مثل هذه المعرفة.

ثم خصّ البخاري عموم هذه الترجمة بترجمتين، فقال بعدها: **"باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء"** يعني هذا مما يجوز أن يكون السهر بعد العشاء في خيرٍ كعلم يتعلمه، أو صلاةٍ يصليها، أو قراءةٍ من كتابٍ، أو حديثٍ أو نحو ذلك.

ثم أورد الباب التالي فقال: **"باب السمر مع الضيف والأهل"** فدلّ على أن السمر مع الزوجة بعد العشاء يخرج عن حكم الكراهة، وهو مما يُباح شرعًا، وفي هذا تنبيهٌ للأزواج أن يجعلوا لزوجاتهم وأولادهم وقتًا يجالسونهم فيه، ويسمع بعضهم لبعض، هذه الجلسة وهذا الحوار يزيد الألفة بين الزوجين.

للأسف الناس في هذا الباب على طرفي نقيض:

- **الطرف الأول**: زوجٌ يجالس أصحابه، ويضاحكهم، ويسهر معهم إلى آخر الليل في متابعة مباراة، أو حديثٍ في مقهى، أو جلوسٍ في مكان على الشارع أو على البحر إلى أن

يشاء الله، ثم يرجع إلى البيت وقد أنهكه التعب، والمرأة تنتظره، وربما قد تزينت له تريد أن تحادثه وتسامره، فيتعذّر بالتعب والنعاس وأن يوم غد يوم عمل، فينام وتنام هي بحسرتها، وهذا خطأ.

- **الطرف الآخر**: بعض الزوجات طمّاعات، فيها طمع، تريد من زوجها أن لا يفارقها أبدًا، فتريد أن يجالسها في طول الأسبوع وفي كل وقتٍ هو فارغٌ فيه، وإلا حصلت بينهم المشاجرات، هذا غير صحيح.

لا بد من الموازنة، أنت تجالس أصحابك وتنظر في أعمالك وما هو من وظيفتك في هذه الدنيا، وكذلك تعطي أهلك حقهم كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ: «**وإن لأهلك عليك حقًا**»(١).

والمرأة كذلك تنظر في شأنها وفي شغلها وتعلم أن الرجل عنده من الأعمال ما ليس عندها، فترفق به في هذا الجانب خصوصًا إذا كان عمله خيّرًا فتراعيه، وقد قرأت مرةً لزوجة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى لقاءً سُئلت فيه عن دور زوجة الداعية بالذات، أو الذي عنده أعمال خيرٍ، فأوصت أن تصبر عليه؛ لأنه يسافر، كان رحمه الله يسافر في أرجاء المملكة يلقي المحاضرات والدروس.

وكان ربما جلس في البيت يرد على أسئلة الناس في الهاتف، ويجلس للتأليف ولتحضير دروسه، غير ما ينشغل به من لقاء الضيوف، ومن التأليف، ومن السفر وغير ذلك، فلا بد أن تصبر عليه إن كان في عمل خيرٍ.

يقول ابن الجوزي في وصيةٍ عظيمة للزوجين: لكن وجه الشاهد منها الزوجة هنا في هذا الباب، يقول في صيد الخاطر: "**فمن قَدر على امرأةٍ صالحةٍ في الصورة والمعنى، فليغمض**

(١) متفق عليه.

عن عوراتها"، وهذا مصداق لقول النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمنٍ مؤمنة إن يكره منها خلقًا رضي منها آخر»[1].

قال: ولتجتهد –وهذا وجه الشاهد- ولتجتهد هي في مراضيه، من غير قربٍ يُملّ ولا بعدٍ يُنسي، ولتقدم على التصنع له، فيحصل الغرضان منها: الولد وقضاء الوطر، انتهى كلامه.

فلا تكن هي قريبةً منه لدرجة الملل، ولا تكن بعيدةً لدرجة النسيان، قال: ولتجتهد هي في مراضيه، من غير قربٍ يُملّ ولا بعدٍ يُنسي.

الطرف الأول: هو الرجل الذي يخالط أصحابه أكثر من أهله، ولا يجالسهم ولا يسامرهم ولا يحاورهم، ولا يعطيهم إلا فضول وقته، وربما يضحك مع أصحابه فإذا دخل البيت تجهم وجهه، وصار يأمر وينهى.

والطرف الثاني: المرأة التي تريد من زوجها أن يبقى معها في كل وقته، في كل وقت هو فارغ فيه، والصواب هو: الاعتدال بين الطرفين.

وقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى وغيرهما قصة جميلة لمجالسة النبي ﷺ مع زوجاته، وحديثٍ جرى بين النبي ﷺ وبين زوجته عائشه رضي الله عنها، هذه القصة وهذا الحديث عُرف بحديث أم زرع.

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

وهي قصةٌ جميلةٌ ولكنها طويلة، ولا تخافوا فلن نكملها اليوم، طويلة والكلام عليها يطول، لكن سنأخذ بعضها ونكمل بعضها إن أطال الله في العمر في يوم الجمعة القادم ونأخذ من فوائدها شيئًا.

لكن يركز الزوج والزوجة قبل أن ندخل في ثنايا هذه القصة الجميلة على أمر، وهو: اختلاف طبائع الرجال، لا بد أن تعرف المرأة ذلك، ستتعرف من خلال القصة على رجلٍ هيّن ورجلٍ شديد، على رجلٍ خُلقه حسن وآخر خلقه سيء.

والرجال كذلك لا بد أن يتعرفوا أن النساء مختلفات في الطبائع والأحوال، والذكي هو الذي يحسن التصرف.

بوّب البخاري على هذه القصة فقال: **"باب حسن العشرة مع الأهل"** فاعتبر **رحمه الله** أن مثل هذه المجالسة وهذا الحديث وهذا السمر من حسن العشرة مع الزوجة التي أمر الله بها الأزواج في قوله: {**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**}[النساء:١٩].

لكن قبل أن أدخل في القصة قلنا: يجلس معها ويسامرها لكن في حلال، ليس في حرام، ما يسامرها في غيبةٍ وفي نميمةٍ وفي مشاهدة مسلسلاتٍ وأفلام، لا، إنما في أمر خيرٍ يعود عليهما في الدنيا والآخرة ولو كان في أمور الدنيا المباحة فلا شيء في ذلك.

شرح حديث أم زرع.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت -طبعًا هي الآن تُحدّث النبي ﷺ بالقصة-: **"جلس إحدى عشرة امرأة"** في رواية: **"في الجاهلية"**، **"فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا"**.(١)

وهذا بين النساء يحصل، أن المرأة تحدث صديقتها بما قد يكون قد حصل معها لكن يُنتبه إلى أنه لا يجوز لهم أن يتكلموا في أمورٍ خاصة بين الزوجين، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، مما يحصل في الفراش ونحوه، كما أن الكلام في الطرف الآخر لغير حاجةٍ غيبة، ويحصل الآخر على الأجر والمتكلم على الإثم، فيُنتبه لمثل هذا الأمر.

"قالت الأولى" وكلامهن يعني عربيٌ فصيح، وهن إحدى عشر امرأة وقد قلن هذا القول وجاء من بعدهم وفسّروا كلامهم في مجلدات، **"قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل، لا سهلٍ فيُرتقى ولا سمين فيُنتقل"**.

قولها: **"زوجي لحم جمل غث"** أي هزيل، هذا تشبيه الآن، تُشبّه زوجها بلحم جملٍ هزيلٍ أو رديء، هذا اللحم الهزيل والرديء على قمة جبل، وإيش الدافع إن الواحد يروح له؟ فلا طريقه سهلٌ ليُنال مع الزهد فيه، تعني طريقه وعر، تقول: **"على رأس جبل، لا سهلٍ فيُرتقى"**.

أي: طريقه ليس بسهل بل وعر، مع زهد الناس في هذا اللحم السيئ الرديء الهزيل، ولا هو بالسمين الذي يتكلف الإنسان المصاعب لأجل الوصول إليه، والمعنى: أن زوجها قد جمع بين سوء الخلق وسوء المعشر.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٣).

قال النووي: **فالمعنى أنه قليل الخير من أوجهٍ**، منها: كونه كلحم الجمل لا كلحم الضأن، لحم الضأن أفضل من حيث الطيب، ومنها: أنه مع ذلك غثٌ مهزولٌ رديء، ومنها: أنه صعب التناول لا يوصل إليه إلا بمشقةٍ شديدة.

يقول: هكذا فسّره الجمهور، وهناك تفسيرات أخرى لكن هذا الأظهر، وهذا يتعلم منه الزوج أمرًا وهو: أن يكون سهلًا لينًا مع أهله، ولا يكن كهذه الصفة، والمرأة التي تُبتلى بمثل هذا الزوج تصبر؛ لاختلاف طبائع الرجال، فهي مع حاله قد صبرت عليه.

"قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره".

طلاسم ها؟ تقول: **"زوجي لا أبث خبره"** أي يحتمل المعنى: أني لا أستطيع أن أتكلم بأخباره، لماذا؟ لطولها، لأني إن بدأت بالكلام على أخباره فسأذكر **"عجره وبجره"** يعني كل سلبياته سأذكرها، وهذا يدل على الذم، أن من كثرة سلبياته أنها لن تنقضي وسينفض المجلس ولن أنتهي ، ما الفائدة من ذلك؟

المعنى الثاني: لا أستطيع أن أبث خبره لأنه إن علم أني قد ذكرت سلبياته أن يطلقها، لكن هذه العبارة تكفي، تقول: **"زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره"** أي لا أدع شيئًا من ما يفعل، **"إن أذكره أذكر عجره وبجره"** أي: عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة.

"قالت الثالثة: زوجي عشنق، إن أنطق أُطلّق وإن أسكت أُعلّق".

"العشنق" اختُلف في معناها، ما بين مادحٍ وذامّ، قيل: هو الطويل المذموم الطول، وهذا ذم، وقيل: هو المقدام على ما يريد، الشرس في أموره، وقيل: هو الطويل النجيب الذي

يملك أمره ولا تتحكم النساء فيه بل هو يتحكم في النساء، فزوجته تهابه إن تنطق بحضرته، هذه صفته، شديد المراس، طويل القامة، لا تتحكم فيه النساء.

وإنما قوله هو الذي يمضي على النساء، قولها: **"إن أنطق أُطلّق وإن أسكت أُعلّق"** أي إن ذكرت عيوبه فيبلغه خبرها طلقها، أو إن شكت له سوء حالها معه فارقها، أول ما تجلس تشتكي له من سوء حالها معه طلقها مباشرة.

وهي تعرف هذا منه، وإن سكت عنها تركها كالمعلقة، لا هي ذات زوجٍ فتنتفع به، ولا طلقها فتلتفت إلى غيره، وهي تذمه بذلك ولا تمدحه، فهو شديد مع هذه الزوجة.

"قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة" الليل ضد النهار، **"زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة"**.

ليل تهامة يُضرب به المثل في الطيب، لا هو بالحار الشديد ولا هو بالبارد الشديد، فكانوا يضربون به المثل في طيب الهواء، فهي تمدحه بأنه جميل العشرة، مع اعتدال حالها معه وسلامة الباطن، فكأنها تقول: لا يؤذيني ولا أخافه، **"لا مخافة"** أي لا أخاف منه لأذيته، ولا ملل عنده فيسأم من عشرتي، أي ليس بسيئ الخلق.

أو قالوا: إنها تقول إنها لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل، يؤخذ من هذا القول: أن المرأة حسنة المعشر يتمسك بها الزوج ويحبها ويبقيها عنده ويأنس بها، وهي تحصل بالمقابل على نفس الجزاء، فيُحسن معاملتها ويبقيها عنده، قالت: **"زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر"** أي لا حرارةٌ ولا برودة، **"ولا مخافة ولا سآمة"** فعيشها معه هنيء، والنبي ﷺ يسمع.

"قالت الخامسة: زوجي إن دخل فَهد، وإن خرج أَسِد، ولا يسأل عما عهد".

وهذه تمدحه، وقيل: تذمه، **"فَهد"** مأخوذ من الفهد، الحيوان المعروف، وصفته بهذا الوصف وتعني به الغفلة عند دخول البيت، على وجه المدح وليس على وجه الذم، قالوا: تسعة أعشار الفطنة في التغافل.

وهذا يستفيد منه الزوج في حياته جدًا، تسعة أعشار الفطنة في التغافل، الزوج الذي يدقق على كل شيءٍ يتعب ويُتعب زوجته، لماذا هذا كذا، ولماذا هذا ليس كذا، ولماذا قلتِ كذا، ولماذا فعلتِ كذا، فهذا التدقيق يجعل الكره بين الزوجين تحقيق.

هذا من ذكائه ومن فطنته يتغافل، ليس لغبائه ولا لخوفه من زوجته، وقيل: أنه يثب عليها ولا يصبر عنها إن دخل البيت، وهذا مدح؛ لحبه لها.

"وإن خرج أَسِد" من الأسد، أي: أنه في البيت وإن كان غافلًا عن أهله، طيب المعشر معهم، لطيفًا في التعامل، محبًا لأهله، فقد يصف ذلك، فقد يفهم البعض أن هذا فيه ضعف، قالت: **"وإن خرج"** أي إلى الناس كان كالأسد في شجاعته، وهو يحتمل المدح والذم.

قالوا: أما المدح فهو: حبه لها وشغفه بها لدرجة أنه لا يصبر عنها أول ما يدخل عليها، وأما الذم فمن جهة أنه غليظ الطبع سيء الخلق لا يعرف الملاطفة مع الزوجة، قالوا: هكذا الفهد في تعامله، لكن الأغلب والأشهر أنها تمدحه.

قولها: **"لا يسأل عما عهد"** هذه دلالة على شدة كرمه وأنه كثير التغاضي عما يحصل في بيته، ولا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيءٍ لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك، ولا يلتفت على ما يرى في البيت من معايب، بل يسامح ويغضي.

هذا من صفة الزوج كذلك اللطيف المعشر مع زوجته، بمعنى: لا تكن محاسبًا لأهلك على كل دقيقةٍ وكبيرة في المنزل، هذا الرجل **"لا يسأل عما عهد"** لكرمه، فإذا جاء بشيء للمنزل لا يسأل عنه، انتهى، ولماذا انتهى، ومن أكله، وأعطيتم مِنْ مَنْ الناس؟ فإذا قيل له لقد انتهى الأكل الفلاني أتى بغيره، وهذا من كرمه ومن حسن معشره مع زوجتـه.

قالوا: ويحتمل الذم؛ أي أنه غير مبالٍ بحالها مريضةً أم صحيحة، لا يتفقد أهلها، حتى أهلها لا يتفقدهم، **"ولا يسأل عما عهد"** إن كانت مريضة ما سأل عنها، صاحية أم مريضة، و ما أخبارك؟ ولا يسأل عن أهلها.

وهذا خطأ في حق الزوج مع زوجته، فإنك أنت إن مرضت تحب من يقوم على رأسك وخصوصًا الزوجة، فكذلك الزوجة إذا مرضت، تشعر باهتمام زوجها بها، أما إن مرضت فيقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكِ به وفضّلني على كثيرٍ مما خلق تفضيلًا، هذا يُنفّرها.

وكان النبي ﷺ ربما داعب أهله في المرض، كما جاء ذلك في مرض موته صلوات الله وسلامه عليه، فلا بأس هنا أن يسأل الرجل عن زوجته وعن أهلها، فهذا مما يديم المحبة والألفة بينهم، فإذا كنت معاديًا لأهل زوجتك فهل تريد منها أن تحبك؟ أبدًا.

وكذلك الزوجة لا تعادي أهل زوجها، فإذا وجد الزوج من زوجته محبةً لأهله، ووجدت الزوجة من زوجها محبةً لأهلها هذا يديم العشرة بينهم.

"قالت السادسة" ونقف عندها، **"زوجي إن أكل لفّ، وإن شرب اشتفّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يولج الكف ليعلم البث"**.

قولها: **"إن أكل لفّ"** دلالة على كثرة الأكل، وأنه نهمٌ يُخلّط بين الأكل ولا يترك منه شاردة ولا واردة، أكول، **"وإن شرب اشتفّ"** لا يُبقي في إنائه قطرة، والعرب إذا أرادت أن تذمّ شخصًا وصفته بكثرة الأكل والشرب، في المقابل، الأكل من اللي يجهزه؟ الزوجة، والشرب تقدمه الزوجة.

و المقابل؟: **"وإذا اضطجع التفّ"** بعد ما يأكل ينام، رقد ناحيةً وتلفف بكسائه وحده، وانقبض عن أهله كالمُعرض، وهي حزينة، **"ولا يولج الكف ليعلم البث"** أي لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من الحزن فيزيله، فوصفته بقلة الشفقة عليها، يعني عديم المشاعر مع أهله وزوجته.

يقول أهل التفسير، أهل تفسير الحديث، أو شرّاح الحديث: وقد جمعت في وصفها له بين اللؤم والبخل والنهمة والمهانة وسوء العشرة مع أهله في عبارةٍ واحدة، قالوا: فإن العرب إنما تمدح بقلة الطعام والشراب وكثرة الجماع؛ لدلالتها على صحة الفحولة، وتذمّ بكثرة الأكل والشراب.

وهذا يتعلم منه الزوج أن لا يهمل زوجته خصوصًا إذا اهتمت به، إذا أظهرت الزوجة اهتمامًا بزوجها فلا يقابل هذا الاهتمام بالإعراض، فإنه يورث في قلبها الحزن كما في هذه القصة.

وفي هذا القول تذكره المرأة السادسة، فإنها إنما جهزت الطعام والشراب تجالس زوجها وتأنس به، ثم تُفاجئ به أنه بعد ما أكل وشرب أن ينام ويلتف بثيابه ويُعرض عنها، ولا يسأل عن حزنها أو عن مشاعرها، فهذا مما يورث الحزن في قلبها، ومع كثرته واستمراره يورث البغض في قلبها له.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته

لا نزال في الكلام على هدي نبينا ﷺ في التعامل مع زوجاته، وهذا هو الجزء الثالث والأخير من هذه السلسلة التي نهدف من روائها إلى تبصير المسلمين بهدي نبيهم ﷺ، في طريقة التعامل مع أهليهم ومحبة النبي ﷺ ليست مجرد دعوة يدعيها الإنسان.

بل المحبة تحتاج إلى إثبات وهذا الإثبات بتطبيق هديه ﷺ في حياتنا وذكرنا أن من هدي النبي ﷺ في تعاملة مع زوجاته أنه كان يجالسهن ويسامرهن ليلًا ويستمع إلى أحاديثهن.

ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري **رحمه الله تعالى** في كتاب النكاح **"باب في حسن عشرة الرجل مع أهله"**

وذكر فيه حديث عائشة **رضي الله عنها** وهي تحكي للنبي ﷺ قصة إحدى عشر امرأة اجتمعن تصف كل واحدة منهن زوجها.

و وصلنا إلى المرأة السابعة والتي قالت: تقول زوجي: **قَالَتْ السَّابِعَةُ زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ.**

بعض النساء تمدح وبعض النساء تذم، وهذه طبائع لابد أن يعيها الإنسان فالمرأة لابد أن تعي اختلاف طبائع الرجال، والرجل لابد أن يعي و أن يتفهم اختلاف طبائع النساء، فليس النساء كلهن سواسية، وليس الرجال كلهم سواء.

فمرّ معنا نساء يذممن أزواجهن، وهذه المرأة الآن تذم زوجها فتقول: **زوجي غياياء؛** أي: أحمق، وقيل هو الذي لا يضرب ولا يلقح من الإبل، وقولها: كل داء له داء، كل داء في الوجود موجود في البشر فيه هو، قد اجتمع فيه الشر كله، هذا وصفها لزوجها.

شجك أو فلك أو جمع كلًا لك. الشج جرح الرأس، والفل جرح الجسد، ومعناه أن الرجل يضرب زوجته، وطبعًا هذا في الجاهلية، عائشة تخبر بأحوال نساء في الجاهلية مما يُتناقل إلى الأخبار.

قال عياض **رحمه الله** في شرحه على مسلم: **وصفته بالحمق والتناهي في سوء العشرة، وجمع النقائص بأن يعجز عن قضاء وطرها مع الأذى؛ فإذا حدثته وكلمته سبها. و إذا مازحته شج رأسها، وإذا أغضبته كسر عضوًا من أعضائها أو شق جلدها أو أغار على مالها أو جمع ذلك كله**. فذمته في هذه العبارة.

قَالَتْ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ.

هذه تمدح، المس مس أرنب، مسه لطيف وناعم، ملمسه ناعم، والزرنب نبات طيب الريح، فتمدحه بأنه لين الجسد وناعمه وهو كناية عن حسن الخلق، وتمدح طيب ريحه.

وكذلك ينبغي على المسلم مع أهله، أن يكون حسن الخلق مع أهله وأن تكون رائحته طيبة، وهذا أدب لابد أن يتحلى به الزوج مع زوجته .

كان ﷺ إذا دخل المنزل أول ما يبدأ يبدأ بالسواك، فيتعاهد رائحة فمه، وبعض الزوجات تشتكي من رائحة فم زوجها؛ لأنه أبخر، أي: رائحة فمه منتنة، وهذا يؤدي إلى النفرة.

فانظر إلى نبيك ﷺ كان إذا دخل استخدم السواك، والسواك من العبادات السهلة اليسيرة التي يحبها الله؛ بل يرضى بها على العبد ، «مرضاة للرب ومطهرة للفم»[1] يقول ﷺ مع زهد الناس فيه.

---

(١) رواه النسائي (٥)، و صححه الألباني في الإرواء (٦٦).

ومثله المعجون ومثله ما يستخدمه البعض من أكل أنواع من العلك، لإذهاب ما في الفم من رائحة؛ فهذا الرجل الريح ريح زرنب؛ أي رائحتة طيبة فتمدحه بذلك، والمس مس أرنب؛ أي في حسن خلقه.

ورسولنا ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله؛ وأني خيركم لأهلي»[1]. وفي رواية عند غير البخاري؛ زادت تقول: **وأنا أغلبه والناس يغلب**. يعني: في البيت المرأة هي التي تغلب الزوج، ولكن دون ضعف منه، ليس هذا من باب الضعف للرجل.

وإنما هو رجل مقدام شجاع فارس، قال: والناس إذا خرج يضربهم؛ لشدته، لاكن ليس من حسن الخلق والتصرف أن تستخدم شدتك مع أهلك في المنزل.

وهذه الحال هذا الوصف من تمام الخلق وحسنه أن تستعمل اللين مع الأهل في المنزل، والشدة في موضعها، ولا تكن صلبًا عسكريًا في بيتك تأمر وتنهى؛ فإذا رُفض أمرك عاجلت بالعقوبة، وتقول: نفذ ثم راجع.

هذا ما يكون في المنزل، فالمنزل طيب الخلق، طيب التعامل، فهذا الرجل تصفه فتقول: و أنا أغلبه ضعفه هنا عن اختيار، وليس عن ضعف واستكانة.

والناس يغلب؛ قال أهل التفسير: دل على أن غلبها إياه إنما هو من كرم سجاياه، وإلا فهو شجاع يغلب الناس.

قَالَتْ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النِّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنْ النَّادِ.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٩٥).

وهذا مدح لزوجها: زوجي رفيع العماد؛ أي: بيته في مرتفع من الأرض، يراه ويقصده كل الأضياف.

طويل النجاد؛ أي: أنه فارس، والنجاد هو السيف.

عظيم الرماد؛ رماد النار؛ أي بسبب كثرة أضيافه، يوقد النار ويطهوا لهم. قريب البيت من الناد؛ أي: لشرفه فإن القوم لا يقطعون شيئًا قبل استشاراته. وإذا أشار عليهم أخذوا برأيه.

قَالَتْ الْعَاشِرَةُ زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ (صاحب أبل) قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ.

زوجي مالك وما مالك؛ هذا من باب التعظيم، مالك خير من ذلك؛ وهذا زيادة في الإعظام، له إبل كثيرات المبارك؛ صاحب أبل ، و كثيرات المبارك أي : كثير ما تثار وتحلب من مباركها وذلك بسبب كثرة الأضياف.

قليلات المسارح؛ المكان التي تسرح فيه الإبل، قليل ما يخرجن للرعي؛ والسبب الاضياف و السبب في ذلك مراعاة الأضياف.

إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك؛ المزهر آلة من آلات اللهو، وقيل هو الذي يوقد النار، فإذا سمعت الإبل صوته، عرفت بقدوم ضيف، فعرفت أنها هالكة.

قَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ وَمَا أَبُو زَرْعٍ. هذا من باب التعظيم وهذا الذي هو موطن الشاهد من القصة كلها هذه.

تقول وهي تمدح هذا الزوج: **أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ.** حرك أذنها بالحلي والذهب.

وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ. أي: من كثرة الخير والراحة أصابها الشحم، حملت الشحم و أمتلأت و سمنت.

وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي. أي: فرحني وعظمني؛ حتى فرحت بنفسي وعظمت نفسي عندي.

وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ.

تعترف بفقرها أن هذا الزوج قد وجدها فقيرة، أهلها كانوا يعيشون في شق لفقرهم، فنقلها من ذلكم الفقر إلى غنى وخيل وإبل والأطيط، أطيط الإبل قيل صوت أعواد المحامل والرجال على الجمال.

ويُطلق الأطيط في اللغة على كل صوت نشأ عن ضغط، وجاء في حديث النبي ﷺ في وصف باب الجنة: «ليأتين عليه زمان وله أطيط»

قولها: ودائس. من الدوس وهو ما يداس من الزرع، ومُنقٍّ كذلك، نقلها من الفقر إلى الغنى؛ بأن جعلها من أهل الخيول والخيول غالية، ومن أهل الإبل ومن أهل الزرع.

تقول: **فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ.** وهذا من حسن العشرة بين الزوجين، أن لا يقبح قولها.

فلا يقول: قبحك الله. و يستهزأ برأيها وقولها ومن معاملة النبي ﷺ لزوجاته أنه كان يشاورهن، ليس على ما يُقال: شاورها وخالفها عند العامة. يقال: شاور النساء وخالفوهن، هذا ليس بحديث.

ولا يصح أن يكون مثلًا، النبي ﷺ كان يشاور نساءه ومن ذلك القصة المشهورة في صلح الحديبية لما وقع النبي ﷺ على الصلح، وأراد أن يرجع إلى المدينة، وأمر الصحابة بأن يحلقوا رؤوسهم وأن ينحروا البدن التي معهم، فما استجابوا.

وعدم استجابتهم ليس للإعراض عن أمر النبي ﷺ، وإنما كانوا يرجون أن ينزل الله من السماء وحيًا يأمر بجهاد أهل مكة؛ لأنهم رأوا في أنفسهم ذلة في تلكم الحالة.

لكن النبي ﷺ يرى ويعلم ما لا يعلم القوم، فلما لم يفعلوا وقد خاطبهم ثلاثًا، غضب ﷺ ودخل على أم سلمة، ورأت عليه سيم الغضب، فلما أخبرها الخبر، قالت: يا رسول الله اخرج ولا تكلم أحدًا، وانحر بدنك، وادعو حالقك وليحلق رأسك.

ففعل ما أشارت به أم سلمة **رضي الله عنها** فلما رأى الصحابة ذلك، فعلوا ما فعل النبي ﷺ.

تقول: فعنده أقول فلا أُقبح. فالمرأة لها رأي و اسمع إلى رأيها ولا تقبح من رأيها، وهذا من حسن العشرة.

وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ. تنام إلى أول النهار، فلا تُوقظ، لماذا؟لأن عندها من يقوم بشئون المنزل من الخدم والحشم.

ولكن يقبح في حق المرأة أن تنام إلى الظهر، فالنوم مفسدة للجسد، مضر إن زاد عن حده، ولذلك أنا أنصح النساء أن لا تكثر النوم، عندها خادمة نعم، لكن لا تنام إلى قريب الظهر.

فإن كثرة النوم مفسدة للمزاج كما ذكر ابن القيم ذلك، مفسد فيها داء لا دواء، فالنوم يؤخذ منه بقدر، وقد انتشر للأسف الشديد قلب الأحوال في زماننا. سهر بالليل ونوم بالنهار. مع أن الله قد نص على أن الليل للنوم والنهار للمعاش.

فتقول المرأة: وماذا أفعل في النهار؟ عندها من الأعمال ما الله به عليم، من الخدمة في المنزل، وأن كان عندها خادمة، فلا تعتمد على الخادمة، وإنما هذه الخادمة معاونة، وإلا أصل المنزل على الزوجة وليس على الخادمة.

واليوم أُبتلينا صار طعام الزوج وطعام الأولاد من يد الخادمة، وهذا ليس بصواب، بل المرأة تستعين بالخادمة ولا تعتمد عليها. ثم تلتفت إلى أمر ربها فتصلي الضحى تقرأ القرآن، تقرأ في شيء من الكتب، تسمع شريطًا، تزور رحمًا. هذا كله من الأعمال التي على المرأة أن تتسابق في فعلها.

قالت: **وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ**. أي: أشرب لدرجة الري التام، وقيل هو الشرب بتمهل.

ثم بدأت تمدح أهل زوجها.

تقول: أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ.

العكوم: ما يوضع فيه المتاع، الشيء الخزانة التي يوضع فيها المتاع، فقولها: عكومها رداح أي: عظيمة، فمتاعها كثير.

وبيتها فساح: أي: واسع، فسيح. فمدحت أم زوجها، وفي الغالب أم الزوج هي والزوجة بينهما حرب، ويسمونها الحماة في بعض البلدان، وعندنا يسمونها العمة.

وأم الزوج والزوجة في صراع في الغالب، لكن هذه المرأة لراحتها و لطفها مع زوجها أو بزوجها ، تمدح حتى أمه، فتقول: أم أبي زرع عكومها رداح، أي: امرأة ذات متاع كثير، وبيتها فساح؛ أي: فسيح واسع ، فهي ذات أضياف كذلك.

ثم تنتقل إلى ابنه.

تقول: ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ.

معلوم أن المرأة لا ترتاح لابن زوجها من غيرها، إلا من هداها الله، والمفروض أن المرأة إذا أخذت رجلًا قد عددّ، فالمفروض أن تتعاون مع هذا الزوج على تربية جميع أولاده، ولا تثير العداوة بين الأولاد بحجة أن هذا ابن ضرتها، لا.

إنما تتعاون مع زوجها على تربية جميع الأولاد سواء منها أو من الأخرى، ومع ذلك تمدحه، فتقول: **مضجعه كمسل شطبة**. الشطبة ما يؤخذ من الجريد الخوص لما يؤخذ منه فيشق ويُصنع منه الحصير.

وقيل: أرادت بمسل الشطبة؛ سحب السيف من غمده، فمضجعه إذا دخل البيت ينام، خفيف في نومه؛ فلا يطيل ولا يثقل عليهم.

ويشبعه ذراع الجفرة. الجفرة هي أنثى ولد الماعز، قيل ما أتم أربع من الشهور، وفُصل عن أمه، فهي تمدحه بأنه خفيف الوطأة عليها. إذا دخل وأراد النوم كأن نومه خفيفًا كمقدار ما يُسل السيف من غمده، ويشبعه القليل؛ يعني: لا يؤذيها بنوم ولا يؤذيها بطعام .

ثم قالت: **بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا**. يعني: بارة بوالديها.

وَمِلْءُ كِسَائِهَا. أي جميلة. **وَغَيْظُ جَارَتِهَا**. أي: جارتها تغتاظ من جمالها وحسنها.

ثم قالت: جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ.

و انظر إلى المحب؛ كيف ينظر إلى من يحب؟ يمدح كل شيء فيه، لكن إذا كرهه، ذم كل شيء فيه . فهذه لحبها لهذا الرجل تمدح حتى جاريته.

تقول: لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا. لا تبث الحديث لا تنقله بين الناس.

وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا. أي: لا تسرع فيه بالخيانة، ولا بالإفساد ولا بالسرقة.

وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا. أي: أنها تنظف المنزل وتكنس الزبالة منه ولا تجعلها في زوايا المنزل كأعشاش الطيور، وإنما تلقيها في الخارج، هذا كله وصف لهذا الزوج ولفروعه.

قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ. أي: أن الخدم كن معهن آنية اللبن، تمخض؛ أي: تخض ويُستخرج منها الزبدة، فخرج مبكرًا.

فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا.

رأى امرأة جميلة ذات ولد، وكان العرب يحبون المرأة التي تنجب، فتزوجها، وسبب الطلاق جاء في رواية أخرى لم يظلمها، أن سبب الطلاق هي المرأة الثانية.

قد جاء في رواية: قال فخطبها أبو زرع فتزوجها؛ فلم تزل به حتى طلق أم زرع، وفي شرعنا لا يجوز للمرأة أن تطلب طلاق أختها، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فلا تسأل المرأة طلاق أختها.

رجل تزوج على امرأته، فتقول: أما أن تطلقها أو إما ان تطلقني. هي آثمة في السؤالين، فإن طلقها فقد أثمت؛ لأنها أضرت بأختها المسلمة بلا سبب، وأن طلقت هي فهي آثمة،

لأن الرسول ﷺ يقول: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[1].

والتعدد ليس من أسباب الطلاق، إنما إذا أخل بالعدل؛ فنعم. وأما الغيرة فهي معروفة مشهورة حتى بين نساء النبي ﷺ، وقد تكلمنا على الغيرة في أول هذه السلسة.

تقول: **فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا.**

و سابقًا المطلقة لها شأنها في المجتمع، ما تبقى مثل الآن، عندنا عوانس، المطلقات كان عليهن أقبال سوقهن يمشي أكثر من الأبكار . والآن أصبح الطلاق مشكلة، المرأة المطلقة ربما تُعاب ويُتكلم فيها.

والصحيح أنها تسعى في أن تتزوج، فإذا تقدم إليها من صَلح دينه وخلقه فلا ترده.

تقول: **فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا.**

أي من سراة الناس وكبرائهم.

رَكِبَ شَرِيًّا. أي: فرسًا؛ فهو فارس. **وَأَخَذَ خَطِّيًّا.** وهو الرمح.

وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا. من المال.

وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا. أي: من كل ما يُذبح زوجًا أي: اثنتين.

وَقَالَ كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ. أي: وأعطي أهلك. وهذا فيه تمام الإكرام. رجل غني فارس معروف بشهامته وبكرمه، فأعطاها وأعطى أهلها.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٥٥)، و صححه الألباني في الإرواء (٢٠٣٥).

وهذا كذلك نتعلم منه أن الزوج لا يُهمل جانب أهل زوجته، يرعى أمها ويرعى والدها ويرعى إخوانها، إن استطاع أن يقوم على شئونهم فليقم. فهذا من حسن العشرة بين الزوجين.

قَالَتْ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ. يعني: هذا الزوج الثاني. **مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ.** فحبها للأول. كما يقول الشاعر:

قلب فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

لكن هذا ليس دائمًا، بعض الأحيان يكون الزوج الأول من الشر في مكان، أن تحتفل بيوم طلاقها، امرأة طُلقت سجدت شكراً لله ﷻ . وامرأة أخرى قرأت عنها في إحدى الصحف تحتفل كل سنة بيوم طلاقها من زوجها؛ فهذا لا يمكن أن يكون قلبها للحبيب الأولي أبدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ». وفي رواية: «إلا أنه طلقها وإني لا أطلقكِ». قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع.

فوائد الحديث

هذا الحديث فيه فوائد جمة؛ اختصر منها على المقصود.

أولًا: حسن عشرة المرء مع أهله؛ بالتأنيس والمحادثة بالأمور المباحة ما لم يفضي ذلك إلى ما يمنع. ذكره ابن حجر.

فهذا ذكرناه في أول الدرس: وهو أن الرجل يؤانس أهله بالجلوس والمسامرة، فذلك من هدي النبي ﷺ، ما لم يفض إلى تضييع واجب كصلاة الفجر.

ثانيًا: فيه المزح أحيانًا، وبسط النفس به، ومداعبة الرجل أهله، وإعلامه بمحبته لها؛ ما لم يؤدي ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك من تجنيها عليه، وإعراضها عنه.

وهذا يفهمه الزوج اللبيب، بيانك لعاطفتك لزوجتك شديدًا لدرجة أن تشعر الزوجة أنك لا تستغني عنها أبدًا، فهنا ستركب رأسك، وتتحكم فيك، فإن أردت مخالفتها قامت عليك الدنيا.

بل كما ذكر ابن الجوزي كما ذكرناه في في الدرس الماضي: **"تبتعد المرأة عن زوجها من غير قرب يُمل ولا بُعد ينسي"**. واجعل بينك وبين زوجتك العلاقة كالشعرة أن هي أرخت شد، وأن هي شدت فأرخي.

فيقول ابن حجر: ما لم يؤدي ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك من تجنيها عليك وإعراضها عنه. لأن الزوج له مقام، هذا المقام كما ذكرنا في أول درس مقام أعطاه الله للزوج على الزوجة. { وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة:٢٢٨]. فما يصلح أن تنقلب الموازين، فيصبح للنساء على الرجال درجة.

ثالثًا: كذلك فيه اختلاف الطبائع، وأن على الزوجين أن يراعيا ذلك وأقول هنا: بعض الأحيان تعيش المرأة في بيت والدها منعمة مكرمة يعطيها والدها أموالًا طائلة، ويغدق عليها بالهدايا، وربما كان والدها كثير السفر.

ثم تتزوج، فيرزقها الله برجل متوسط المادة، فلا يستطيع أن يوفر ما كان يوفره أبوها . فتظن أن هذا الزوج قد قصر في حقها، فتراعي بين الأمرين.

رابعًا : كذلك الزوج الرجل لما يقرأ في صفات النساء، يضع أمامه مجموعة من الصفات كما يسمونها صفات فارسة الأحلام، فإذا تزوج امرأة؛ فرآها تقل أو لا توجد فيها بعض الصفات، قال: هذه امرأة سوء، فيراعي الزوج كذلك ذلك.

فمن تأمل أحوال النساء في الحديث وأحوال الرجال، علم أن كل مرأة لها طبعها وكل زوج له طبعه، فالمرأة العاقلة هي التي تتأقلم مع طبع زوجها، والزوج يراعي طبع زوجته.

خامسًا: من الفوائد كذلك: فيه الحديث عن الأمم الخالية وضرب الأمثال بهم اعتبارًا وجواز الانبساط بذكر طرف الأخبار، ومستطابات النوادر تنشيطًا للنفوس.

سادسًا: كذلك فيه حظ النساء على الوفاء لبعولتهن، وقصر الطرف عليهم والشكر لجميلهم، والمرأة إذا أكرمها زوجها؛ فلتشكر الله ﷻ على نعمة هذا الزوج، ثم تشكر زوجها؛ فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

سابعًا: كذلك فيه أن من شأن النساء إذا تحدثنَ ألا يكون حديثهن غالبًا إلا في الرجال، إذا جلسنَ فغالب حديث النساء في الرجال بخلاف الرجال، فإن غالب حديثهم إنما هو فيما يتعلق بأمور المعاش.

ولكن بعض الأحيان قد تتداخل الأمور، فالرجال أفضل الكلام عندهم ما كان في النساء، والنساء أفضل الحديث ما كان في الرجال.

لكن يُراعى عدم ذكر ما يكون من أسرار بين الزوجين؛ خصوصًا في أمر الفراش، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

ثامنًا: فيه بيان حال العرب مع الزواج؛ خصوصًا المطلقات، والإقبال عليهن، وأن كانت ذات ولد.

تاسعًا: فيه أن إحسان الزوج لزوجته من أسباب جلب المحبة له في قلبها. وهذا نأخذه من فعل أبي زرع؛ فإنه قد أحسن إلى أم زرع فأحبته، ومدحته لدرجة أنها فضلته على زوجها الآخر، بعد أن طلقها أبو زرع.

فنبينا ﷺ يقول: «تهادوا تحابوا»[1]. فمن وسائل تقريب القلوب والألفة بينها أن تُهدي زوجتك هدية وأن تهديك هي هدية، فإن هذا مما يُقرب بين القلوب.

كذلك ذكر ابن حجر قال : **"أن الحب يستر الإساءة، لأن أبا زرع مع إساءته لها بالطلاق، إلا أنها قد مدحته"**.

هذا الأمر وهو معاملة النبي ﷺ لزوجاته؛ بابه واسع جدًا، لا يتسع المقام وهذه المحاضرات بذكرها؛ لأنها تتعلق بسيرته، لكن نذكر منها نبّذًا من معاملة النبي ﷺ لزوجاته، وتلطفه معهن. و أنا أعرف أنكم ما بتملوا؛ لأن الامر عن الزواج الأمر جميل حلو.

معاملة النبي لأزواجه.

- ما رواه مسلم عن أنس: أن جارًا لرسول الله ﷺ فارسيًا كان طيبَ المرق، يعني: كان طبخه طيبًا. فصنع لرسول الله ﷺ طعامًا، ثم جاءه يدعوه، والرسول ﷺ مع عائشه رضي الله عنها. فقال: وهذه معي ولا لا. فقال: لا.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٤).

فقال النبي ﷺ: « لا لن أذهب». لماذا؟ لأنه أن ذهب سيكسر بقلب عائشة رضي الله عنها فجاء في الثانية: فدعاه، قال: وهذه. قال: لا. قال: إذًا لا. فجاء في الثالثة فدعاه، قال: وهذه . قال : نعم . قال: فقام يتدافعان حتى أتيا منزله. يعني: تمشي عائشة رضي الله عنها في أثر النبي ﷺ .

قال النووي: **"فكره ﷺ الاختصاص بالطعام دونها، وهذا من جميل المعاشرة، وحقوق المصاحبة وآداب المجالسة المؤكدة"**. أي: بين الزوجين.

وبعض الشباب خصوصًا، في أيام الرحلات في زمانِنا الآن في أوقات الشتاء، يخرج مع أصحابه للشوي لا تنسى زوجتك وأولادك، خصص لهم يومًا أو فترة تخرج معهم وتقضي معهم وقتًا ممتعًا، بدون الوقوع في محرمات.

كمن يذهب إلى أماكن الملاهي التي فيها الأغاني وفيها المعازف ابتعد عن هذا ، واخرج فيما أباحه الله ﷻ.

- من معاملة النبي ﷺ لزوجاته أنه كان يصحبهن إذا سافر ، لكن لا يصحبهن جميعًا، كان يقرع بين نسائه. تقول عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، تقول: وإذا كان بالليل سار مع عائشة رضي الله عنها يتحدث فكان يسامرهن كذلك في السفر.
- ومن معاملتة لزوجاته ﷺ كان يعاونهن في أمر المنزل، فلما سئلت عائشة رضي الله عنها عن فعل الرسول ﷺ في بيته، كان في مهنة أهله، كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته، وهو من محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. مع أن له خدم.

هذا على التعاون بين الزوجين فيه فائدة؛ وهو دوام المحبة بينهم والألفة. اقرأوا كتاب النكاح من صحيح الإمام البخاري **رحمه الله تعالى**، وانظروا إلى هدي نبيكم ﷺ في التعامل بين الأزواج، وكذلك بقية كتب السنة، وانظروا إلى هديه ﷺ ومن أصابه شيء مع أهله، فلا يتسرع بالطلاق ولا يتسرع باستخدام القوة.

الهدي الشرعي مع التعامل مع المشكلات الزوجية.

اليوم نتكلم عن الهدي الشرعي مع التعامل مع المشكلات الزوجية، وللأسف الشديد في هذه الأزمان، يكثر الطلاق بين المتزوجين، ويقع الطلاق في فترة عقد القران-فترة الملكة- وربما وقع الطلاق في الشهور الأولى من الزواج.

ويرجع سبب ذلك أو سبب كثرة ذلك إلى عدم الفقه السليم لأحكام العلاقة بين الزوجين، ولعدم تقدير كل منهما لأهمية الحياة الزوجية في الإسلام.

وإلا فإن أحكام الأسرة وتكوين الأسرة من الأمور التي فصل الله ﷻ بيانها في القرآن الكريم، ونُقلت لنا عن نبينا ﷺ بشيء من التفصيل، وتكلمنا عن حسن العشرة بين الزوجين، وكذلك عن حق الزوج على زوجته، وذكرنا مواقف من تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.

وكذلك بيّن الله لنا في القرآن كيفية حل الخلافات التي تحصل بين الزوجين، والخلاف أمر واقع ولابد، فلا يتصور إنسان أن يتزوج؛ فيعيش بلا مشاكل أو خلافات، لاختلاف طبائع الناس واختلاف مستوى التعليم واختلاف طريقة التفكير؛ فلابد أن يقع الخلاف.

لكن كيف أتصرف وكيف تتصرف المرأة إذا وقع هذا الخلاف؟

أولاً لابد أن أذكر الزوج والزوجة ببعض الأمور التي لابد من استصحابها في الحياة الزوجية.

دور الزوج في الحياة الزوجية.

الأمر الأول: الزوج؛ أقول للزوج لابد أن تستحضر الأمر الإلهي لك، لما قال ربك: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

}[النساء:١٩]. هذه الآية من فقه معناها؛ حلت له كثير من المشاكل الزوجية. يقول ﷻ: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ }.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن الناصر السعدي **رحمه الله** في تفسير هذا الجزء من الآية: **وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية**. أي: لابد أن يكون قولك معها بالمعروف وفعلك وتعاملك مع زوجتك بالمعروف.

فعلى الزوج أن يعاشر الزوجة بالمعروف من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها.

وهذه قاعدة في التعامل في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال. الرجل الغني الذي قد فتح الله عليه في المال، نفقته ليست كالرجل الفقير، أو من هو من أوساط الناس، فلابد أن يعي الزوج ذلك، وأن تعي الزوجة ذلك.

وقد سبق أن ذكرت: أن الزوجة قد كانت تعيش مع والدها في حياة فيها بذخ، ووالدها رجل قد فتح الله عليه، فتسافر مع والدها ومع أسرتها في كل سنة، وتشتري من أفخم الماركات وتركب أفضل وأحدث المركبات، ثم يرزقها الله بزوج متوسط الحال، لا يستطيع أن يفعل معها، كما فعل معها أبوها؛ فتجد أن مستواها قد هبط فتدّعي أن زوجها قد قصر في حقها.

زوجها لم يقصر في حقها وإنما عاملها وأنفق عليها على حسب قدرته واستطاعته وهذا ما أمره الله عز وجل به: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ}[الطلاق:٧]. فتظن الزوجة أن زوجها قد قصر عليها.

وكذلك الرجل يضع في ذهنه عدة اعتبارات وعدة معايير للزوجة، فلما يتزوج فيرى زوجته لا تتصف بهذه المعايير؛ فيتهمها بالتقصير.

في قوله تعالى: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا }. لم يأمرك بالفراق ولم يقل لك طلقها، وإنما أمرك بإمساكها.

يقول السعدي رحمه الله في التفسير: أي: **ينبغي لكم أيها الأزواج: أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، هذا خير قد وعدك به ربك.**

من ذلك امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، ومنها أي: من هذا الخير أن إجباره نفسه مع عدم محبته لها؛ فيه مجاهدة للنفس والتخلق بالأخلاق الجميلة.

وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة كما هو الواقع في ذلك، وربما رزق منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة، وهذا كله معًا، إن كان في الإمساك وعدم المحذور.

المحبة مكتسبة تأتي بحسن التعامل وحسن العشرة، و بعض الناس متأثر بالأفلام، وبعض النساء تقول: لا يمكن أن تكون حياة زوجية بلا محبة، نقول: يمكن. هذا قول ربنا ﷻ: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ}.

فأمرك ربك بإمساكها؛ لأن المحبة تُكتسب بحسن العشرة بحسن الجميل، بالهدايا تهادوا تحابوا، يقول ﷺ، لعل الله أن يرزقك من هذه المرأة بولد فيتعلق قلبك بولدها وبها.

وهذا قد حصل مرة من المرات عُرضت علي مشكلة بين زوجين، قد وصلا إلى المحكمة يطلبون الطلاق، وإذا بالمرأة خلال فترة المحاكمة والنظر في القضية تحمل؛

فتخيل كيف انقلبت العداوة إلى رضا ومحبة بين الزوجين، وانتهت القضية بوجود هذا الحمل الذي كان سبباً في تراضي الأطراف.

كذلك لابد أن ينتبه كل من الزوجين، أن الطلاق يحبه الشيطان ويسعى له بكل وسيلة، وقد صح عن النبي ﷺ : «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ». فيبتسم «قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ، وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ »[1] يعني هذا الذي قد فتن.

فالطلاق يحبه الشيطان، فلما تُمسك هذه المرأة على كراهيتك لها، فإنك تخالف كذلك الشيطان في أمره. قال: هذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور.

فإن كان لابد من الفراق وليس للإمساك محل، فليس الإمساك بلازم، ومصداق ذلك قول نبينا ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة» أي: لا يبغض مؤمن مؤمنة «أن كره منها خلقًا رضي منها آخر»[2].

وهذا ما يُطلق اليوم الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، فلا تنظر إلى للسلبيات فقط وتنسى إيجابيات هذه الزوجة.

الأمر الثاني: على الزوج أن يستحضر قول النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله؛ وأنا خيركم لأهلي».فمن سبل تحقيق الخيرية أن تكون خيّرًا مع أهلك في قولك و فعلك.

---

(١) رواه مسلم (٥٠٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٩).

الأمر الثالث: أن يراعي الزوج الطبيعة التي خلق الله عليها المرأة، تنتبه أيها الزوج أنك تتعامل مع امرأة ذات طبيعة معينة قد أخبر عنها الله ﷻ عن طريق محمد ﷺ؛ فتعامل مع هذه المرأة بناءً على هذه الطبيعة.

ومن ذلك قول رسولنا ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا » ولاحظ الخطاب هنا لمن؟ للرجال وليس للنساء ما قال للنساء استوصن بالرجال، قال للرجال: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه؛ فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء خيرًا»(١).

وقوله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وأن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»(٢). هذا الحديث رواه مسلم.

ولابن حجر كلمات جميلة جدًا توضح معاني هذين الحديثين، قال في فتح الباري: **"وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب، وفيه سياسة النساء؛ بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها"**. فيستحضر الزوج هذا الأمر.

الأمر الرابع: كذلك من الصفات التي أخبرنا عنها النبي ﷺ في المرأة ، كفران العشير، قال ﷺ وهو يخاطب النساء: « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ». فَقُلْنَ :

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣١).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٨).

وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ والشكاية وَتَكْفُرْنَ الْعَشِير مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»(١).

معنى العشير؟ فسره النبي ﷺ بقوله: «أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ». قَالُوا : بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : (بِكُفْرِهِنَّ) قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللهِ ، قَالَ : «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ »(٢).

فيستشعر ويستصحب الرجل هذه الطبيعة في المرأة قبل أن يتخذ أي قرار بالانفصال ونحوه.

الأمر الرابع: لابد أن يحاسب الزوج نفسه، ليس كل المصائب من المرأة، بعض المشاكل أو غالب المشاكل تنتج من تقصير الزوج في واجب من الواجبات؛ فهنا تحاسب نفسك.

هل التقصير منك، وهذا التقصير أدى إلى نشوز المرأة أم لا؟ فإن كان منك؛ فبادر إلى إصلاحه.

الأمر الخامس: وهو أمر لا يتنبه له كثير من الناس، أن من أسباب معصية الزوجة لزوجها ونشوزها معصية الرجل لله ﷻ، فقد جاء عن بعض السلف أنه قال: أني: لأعلم شؤم المعصية في دابتي وفي خلق زوجتي؛ فأنت تعصي الله فيسلط الله عليك زوجتك في البيت فيسوء خلقها، وتعصيك في أمرك ونفسك.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤).

(٢) رواه البخاري (١٠٥٢).

فهنا تحتاج إلى أن تحاسب نفسك في هذا الباب، وهذا من شؤم المعصية، وكذلك من أسباب كثرة الطلاق في الأسر، عدم وجود البركة في الزواج، والبركة تحصل بطاعة اللهﷻ.

والبركة من الله، فالله هو الذي يبارك في الشيء، ومعنى البركة زيادة الخير واستمراره، و لذلك أن تقول للزوج: بارك الله لك وعليك وجمع بينكما بخير. تدعو له أن يرزقه الله الخير في هذا الزواج.

بالله عليكم كيف يبارك الله في أسرة قد بدأت حياتها الزوجية بالربا؟ قد أخذ قرضًا من بنكًا ربوي وبدأ به حياته. أما سمع قول الله ﷻ: {يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}[البقرة:٢٧٦].

أما علم أن المرابي محاربًا لله ورسوله؟ {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة:٢٧٩] . ثم يريد البركة في زوجته وذريته،

كيف يريد البركة من يبدأ حياته الزوجية بالفرق الموسيقية و المعازف والإسراف في حفلات الزواج والبذخ. والله يقول: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأعراف:٣١].

دور الزوجة في الحياة الزوجية.

نأتي الآن إلى الزوجة.

عليها أولًا أن تعلم أن حق الزوج عليها عظيم، وهذا الحق إنما اكتسبه الزوج بفضل الله ﷻ، والله قد قدره وفرضه لحكمته وهو الخبير بما يصلح العباد.

قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء:٣٤] قال ابن كثير: الرجل قيمٌ على المرأة أي: هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها ومؤدبها إذا أعوجت.

ثم قال في تمام الآية: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ} [النساء:٣٤]. { قَانِتَاتٌ }. قال ابن عباس وغير واحد من المفسرين: يعني: مطيعات لأزواجهن.

{ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ }. قال السدّي وغيره: أي: تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله. كما عليها أن تجاهد نفسها على تعديل سلوكها أن هي حادت؛ بسبب طبيعتها التي خلقها الله ﷻ عليها.

فترجع وتستغفر وتعتذر ، ولتتأمل المرأة هذا الحديث، ولا ترى في اعتذارها لزوجها ضعفًا؛ و إنما استجابة لأمر الله.

عن ابن عباس **رضي الله عنهما** قال: قال ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة» واسمع أيها الرجل إلى هذه الصفات وحاول أن تلتزم بها. قالوا: بلى؛ يا رسول الله .

قال النبي ﷺ: « النبي ﷺ في الجنة» وهذا ليس لأحد إلا للنبي ﷺ وانتهت النبوة. «والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، ورجل زاره أخاه في ناحية المصر، (أي في ناحية البلد) يزوره لله في الجنة». تزور صاحب لك في أبو ظبي مثلًا أو في السلع ليس عندك حاجة عنده، إلا فقط تزوره لله؛ لأنك تحبه في الله، وصاحبه في الله، فهذا من أسباب دخولك الجنة.

ثم قال: «ونسائكم من أهل الجنة، الودود» صاحبة الود و العاطفة والمحبة. «العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يده ثم تقول: والله لا أذوق غمضا حتى ترضى عني ، هي في الجنة ، هي في الجنة ، هي في الجنة»[1].

هذه صفة نساء الجنة، ما تقول: كبريائي يمنعني من ذلك، وكلمة كبرياء تتكون من جزأين: كبر ورياء، وكلاهما مذموم في شرعنا، الكبر مذموم، والرياء مذموم . فهذه الكلمة يجب أن تُزال من القاموس.

لذلك لا يصلح استخدام نظامًا ندّيًا في الزواج، لا تعتبر المرأة نفسها ندًا لزوجها في أثناء الحوار أو في أثناء الخطاب أو في الخلاف، فمتى ما اعتبرت من نفسها ندًا انتهت الحياة الزوجية.

الأمر الأول: القواعد التي لابد أن يتسصحبها الزوجان في أثناء الخلاف أو الحياة الزوجية عمومًا.

الأمر الثاني:ما هي الحلول والطرق الشرعية التي بينها الله في كتابه لعلاج المشاكل الزوجية؟

قال تعالى:{ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء:٣٤].

التعامل مع نشوز الزوجة.

النشوز من الزوجة: هو الخروج عن طاعة الزوج، أرشدنا الله إلى ثلاثة حلول:-

(١) رواه الدارقطني في الغرائب و الأفراد (٤/ ٢٧٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٠٤).

الحل الأول: الوعظ بتذكيرها حق الزوج عليها.

يقول القرطبي رحمه الله وهو من المفسرين: يقول أي: فعِظُوهُن بكتاب الله، لا تقرأها فَعِظُّوهْن ليس المقصود العض فتخطأ هنا المقصود الوعظ. فيقول: القرطبي أي : ذكروهن ما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة وجميل العشرة، والاعتراف بالدرجة التي له عليها.

والوعظ إخواني: يكون بالموعظة الحسنة، والكلمة الجميلة؛ فلابد أن يشعر الزوج زوجته أنه يريد الخير لها، ويراعي أن تكون الموعظة سرًا، فيما بينهما.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا و كذا . قال بعض الرواة: تعني قصيرة. يعني تذم صفية؛ صفية قصيرة انظر للوعظ، فقال لها النبي ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»[1]. فنهاها ﷺ وبين أن ما فعلته لا يجوز شرعًا. فهذا من الموعظة.

وقد يحتاج الزوج إلى الشدة في الموعظة؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفارٍ لها. فذكرها ذات يومٍ فاحتملتني الغيرة، فقلت له: لقد عوضك الله من حمراء الشدقين كبيرة السن.

يعني: ماذا تريد في خديجة **رضي الله عنها** قد ماتت وهي كبيرة في السن. وقد عوضك الله صغيرة وهي عائشة رضي الله عنها ترمي إلى نفسها وهذا من الغيرة بين الزوجات.

قالت: فرأيت النبي ﷺ غضب غضبًا، سقط في خلدي فقلت: اللهم أن أذهبت غضبه عني، لم أعد لذكرها بسوء ما بقيت. فقال النبي ﷺ: « وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي حِينَ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ ،

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، و صححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٨٣٤).

وَآوَتْنِي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتُمُوهُ مِنِّي»[1].

كما قد يقع الوعظ من الأب والأم لابنتهما المتزوجة. بوب البخاري على ذلك في صحيحه؛ فقال: **" باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها"** أي لأجل زوجها وهذا الأب هو العاقل والأم العاقلة التي تريد من الحياة الزوجية أن تستمر.

والله من العجب أن أفاجئ في بعض حالات المشاكل والخلافات الزوجية، أن أجد أن الأب والأم في صف البنت، وأن كان الزوج مخطئًا، تجد أن الأب والأم يطالبون بطلاق البنت، مع أنه في أول حياتهم الزوجية، ويمكن أن تزول هذه الخلافات، وهذه العراقيل وتتحول الحياة إلى نعمة؛ لكن مما يزيد الطين بله تدخل الأب والأم بطريقة سلبية.

انظر لعمر بن الخطاب ﷺ كيف ينصح ابنته، أورد البخاري هذا الأثر تحت هذا الباب، يقول عمر: لما أُشيع عن طلاق الرسول ﷺ لجميع زوجاته. يقول: جمعت علي ثيابي فنزلت حتى دخلت على حفصة، وحفصة ابنته، فقلت لها: أي حفصة؛ أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل. قالت: نعم.

وانظر أيها الزوج: نساء النبي ﷺ معهن مشاكل مع رسول الله ﷺ في بيت النبوة، وهن خير النساء، إذًا المشاكل أمرها مفروض ، حتى زوجات النبي ﷺ كان بينهن خلاف مع الرسول ﷺ، فتبقى تهجره من النهار إلى الليل وهي غضبى. فقالت: نعم.

فقال عمر: قد خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ ، فتهلكي، لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت

(١) متفق عليه.

جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة رضي الله عنها[١] ، لا تحملك الغيرة على الخلاف مع الرسول ﷺ.

الحل الثاني: الاسلوب الثاني { وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ }؛ فإن لم ينفع الوعظ، انتقلت إلى الهجر، و الهجر يكون بترك الدخول عليها، وترك المبيت عندها والإعراض عنها وعن الكلام معها.

و سئل ﷺ : ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسبت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت». وهذا له أثر في نفسية المرأة.

ويجوز هجر الزوجة خارج المنزل كما حصل من النبي ﷺ مع زوجاته، حين هجرهن شهرًا لما طالبن بزيادة النفقة. طالبن أن يزيدهن النبي ﷺ في النفقة، فطالبن بشيء ليس عنده، فهجرهن شهرًا في خارج بيوتهن. وبوب البخاري فقال: **"باب هجرة النبي ﷺ نسائه في غير بيوتهن"**

الحل الثالث: الاسلوب الثالث قوله:{ اَضْرِبُوهُنَّ }. الضرب وإن كان من الأساليب في التأديب، إلا أن النبي ﷺ قد كرهه، ولقد اشتكت النساء لهن ضرب أزواجهن لهن، فقال ﷺوهو يخاطب أصحابه : «لقد أطاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين أزواجهن؛ ولا تجدون أولئك خياركم»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٥).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٩١٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٤٤).

وفي رواية: «اضربوا ولن يضرب خياركم». وقد نص كثير من محققي الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة على أن الأولى والأفضل للزوج شرعًا العفو عن زوجته، وعدم ضربها إبقاءً للمودة والرحمة في الحياة الزوجية، وأنه ينبغي له مداراة زوجته.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة ولا خادمًا»(١)، وتأملوا قول ربنا ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[التغابن:١٤].

العداوة ليست عداوة قتال؛ بل صد عن ذكر الله وعن الطاعة، فتنشغل بالولد والزوجة عن طاعة الله ﷻ، فيلهوك كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ} [المنافقون:٩].هذه العداوة.

طيب ماذا أمرنا الله؟ فقال: { وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا}فإن الجزاء من جنس العمل قال { فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[التغابن:١٤]. وليست العداوة عداوة قتال كما ذكرنا.

لكن من أراد الضرب فعليه أن يراعي أمورًا:-

أولًا: أن يجتنب الوجه. قال ﷺ: «ولا تضرب الوجه ولا تقبح»(٢).

ثانيًا: ألا يكون ضربًا مبرحًا يشق الجلد أو يسيل الدم، أو يكسر العظم؛ لأنك تؤدب لا تنتقم، وفرق بين ضرب الانتقام وضرب التأديب. قال ﷺ: «علام يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد؛ ثم يضاجعها من آخر الليل»(١).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٩٥).

ونصيحة لكم: اتركوا، لا يفكر أحدكم في الضرب، لأن المرأة الآن إذا ضُربت تذهب للمستشفى تأخذ تقرير طبي، تذهب للمحكمة يطلقوها مثل الضرر مباشرة، فتأخذ حذرك من هذا الباب.

الحل الرابع: ومن الأساليب أيضًا وأعذروني على الإطالة لكنه موضوع يحتاج إلى تفصيل في الإصلاح عند العجز، عجز الزوجان عن الإصلاح فيما بينهما، فشرع الله ﷻ ندب حكمين من أهل الزوجين، قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}[النساء:٣٥].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي؛ في بيان وظيفة الحكمين: هذه حالة أخرى غير الحالة السابقة التي يمكن للزوج معالجتها، وهذه إذا استطار الشر بين الزوجين وبلغت الحال إلى الخصام وعدم الالتئام، ولم ينفع في ذلك وعظٌ ولا كلام.

فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها عدلين عاقلين، يعرفان الجمع والتفريق، ويفهمان الأمور كما ينبغي، فيبحثان في الأسباب التي أدت بهما إلى هذه الحال.

ويسألان كل منهما ما ينقم على صاحبه، ويزيلان ما يقدران عليه من المعتبة بترغيب الناقم على الآخر بالإغضاءات عن الهفوات و احتمال الزلات وإرشاد الآخر إلى الوعد بالرجوع وإرشاد كل منهما إلى الرضا والنزول عن بعض حقه.

فكم حصل بهذا الطريق من المصالح شيء كثير، وإن أمكنهما إلزام المتعصب على الباطل منهما بالحق فعلا؛ ومهما وجدا طريقًا إلى الإصلاح والاتفاق والملائمة بينهما لم يعدلا عنها؛ إلا بتنازل عن بعض الحقوق أو ببذل مال أو غير ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٠٨).

ممكن أن ترضى الزوجة بإعطائها بعض المال، فيعطيها بعض المال؛ لأجل حصول الصلح؛ فإن تعذرت الطرق ورأيا أن التفريق أصلح فرقا.

الحل الخامس: من الأساليب أيضًا قول الله عز وجل : {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[النساء:١٢٨].

الآن النشوز ليس من المرأة؛ بل من الزوج، والمرأة هي تريد الصلح، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في التفسير: هذه إذا كان الزوج هو الراغب عن زوجته، يعني هو الذي لا يريد الزوجة، إما عدم محبة، وإما طمعًا.

فأرشد الله في هذه الحال لطريق التي تستقيم به الأمور، وهو طريق الصلح من المرأة أو ولّيها ليعود الزوج إلى الاستقامة، بأن تسمح المرأة عن بعض حقها اللازم لزوجها على شرط البقاء معه وأن يعود إلى مقاصد النكاح أو بعضها كأن ترضى ببعض النفقة أو الكسوة أو المسكن.

أو تُسقط حقها من القسم، مثل ما فعلت سودة زوجة النبي ﷺ، لما خافت أن يطلقها الرسول ﷺ لكبر سنها، قالت للرسول ﷺ: أتنازل عن ليلتي لعائشة؛ فلا تطلقني.

أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها بإذنه؛ فمتى اتفقا على شيء من ذلك؛ فلا حرج ولا بأس.

الحل السادس: من الأساليب أيضًا - وهذا يجهله كثير من الناس- الدعاء بإصلاح الزوج أو بإصلاح الزوجة.

القلوب بيد الله ﷻ يقلبها كيف يشاء، قال تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:٦٣].

وأخبر الله ﷻ أنه يصلح الأزواج كذلك بالدعاء والسؤال، قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}[الأنبياء:٨٩-٩٠]. وهذا وجه الشاهد من الآية.

الحل السابع: من الأساليب في حل الخلاف: استخدام الحوار بين الزوجين والبعد عن الغضب، اجلس مع زوجتك حاورها وتحاورك بعيدًا عن التعصب.

ليحذر الزوجان من إدخال أطراف أخرى في الخلاف؛ حتى لا يتسع إلا إذا تأزمت الأمور، فلزوج أن يشتكي زوجته إلى أمها أو أبيها؛ إذا كانا عاقلين، لأجل أن ينصحا ابنتهما.

عند الغضب؛ احذر من أخذ قرار قد تندم عليه، وإذا غضبت فاستخدم الهدي النبوي في حال الغضب إما بتغيير وضعك أو بأن تتوضأ وتصلي ركعتين، أو أن تخرج من المنزل، أعطي فرصة كافية للصلح ولا تتسرع باختيار القرار.

لا تكن فظًا غليظًا في تعاملك مع زوجتك في أثناء الخلاف بينك وبين زوجتك.

هذه بعض النقاط التي ذكرتها لكم على وجه الاختصار؛ فيما يمكن أن يكون من حلول بين الزوجين في حال الخلاف، ومن نظر في سيرة النبي ﷺ واقتفى أثره في تعامله مع زوجته؛ فلن يندم أبدًا؛ لأنه هو القدوة و هو الأسوة الحسنة.

الفهرس

أما بعد؛ ٢
(الزواج) ٢
دور الزوج في الحياة الزوجية ٦
رسول الله مع أزواجه. ٨
حسن العشرة من رسول الله لأزواجه. ١٠
مواقف النبي ﷺ مع زوجاته رضي الله عنهن. ٢٠
فوائد لحديث أنس ﷺ ٢٢
فوائد لحديث أنس ﷺ ٣٠
طريقة التعامل مع أهله صلوات الله وسلامه عليه ٣٣
شرح حديث أم زرع. ٣٨
فوائد الحديث ٥٤
معاملة النبي لأزواجه ٥٧
الهدي الشرعي مع التعامل مع المشكلات الزوجية. ٥٩
دور الزوج في الحياة الزوجية ٥٩
دور الزوجة في الحياة الزوجية. ٦٥
التعامل مع نشوز الزوجة. ٦٧
الفهرس ٧٥

للاستماع إلى المحاضرة يرجى زيارة الرابط

http://www.baynoona.net/ar/tree/١٤١٧

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

سُجلت : ٢٨/ ٠٨/ ٢٠١٥

فُرغت : ٢٢/ ١١/ ٢٠١٧

حُقُوق الطبع مَحفُوظة

للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat